أصول الدين

تأليف

سماحة المرجع المعظم الإمام المصلح
الحاج ميرزا حسن الحائري الأحقاقي

منشورات
مكتبة الإمام الصادق (ع) العامة
الكويت

موقع الأوحد
Awhad.com

أصول الدين

أصول الدين

تأليف

سماحة المرجع المعظم الإمام المصلح
الحاج ميرزا حسن الحائري الأحقاقي

منشورات
مكتبة الإمام الصادق العامة
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدّين * إياك نعبد * وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

أما بعد :

فإجابة لجماعة من أخواني المؤمنين ، كثّر الله أمثالهم ، وأصلح بالهم ، ألّفت هذه الرسالة المحتوية على أُصول الدين ، راجياً من الله ، عز وجل ، القبول ، بحق الرسول وآل الرسول ، صلوات الله عليهم أجمعين .

أُصُولُ الدِّين

أُصول الدين هي خمسة :

التوحيد ، العدل ، النبوة ، الإمامة ، والمعاد الجسماني .

أما التوحيد ، والنبوة ، والمعاد : فهي من أُصول الإسلام ، ومن أنكرها ، أو أنكر واحدة منها ، أو شكَّ فيها ، فهو كافر ، خارج عن الملَّة الإسلامية .

وأما العدل ، والإمامة : فهما من أُصول مذهب الإمامية ، والمنكر لهما ليس بشيعي جعفري .

١- التوحيد

لا يجوز التقليد في أُصول الدين ، ولا بالظنّ الحاصل من أقوال الناس ، بل لا بدَّ من اليقين والإيمان ، بالدلائل والبراهين العقلية ، والآثار الآفاقية[١] والأنفسية ، ولو بطريق الإجمال ، كدليل العجوز ، حيث رفعت يدها عن دولابها ، حين سألها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عن طريق معرفتها : يعني كما أنَّ هذا الدولاب يحتاج إلى مثلي ، في حركته وفعله ، فكذلك الأفلاك ، فلا بدَّ لها من مدبّر .

أو مثل برهان الأعرابي حيث قال : «البعرة تدل على

---

(١) إشارة من سماحة المؤلف ـ حفظه المولى تعالى ـ إلى قول الله سبحانه : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾ (فصلت : ٥٣) .

البعير ، وأثر الأقدام[1] يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، لا تدلان على اللطيف الخبير !» .

---

(١) قيل لبعض الأعراب : «ما الدليل على أنَّ للعالم صانعاً ؟ فقال : ويحك ! إنَّ البعرة تدل على البعير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فهيكل علوي بهذه اللطافة ، ومركز سفلي بهذه الكثافة ، أما يدلان على الصانع الخبير ؟!» (روضة الواعظين : ص ٣١) .

● وسئل أمير المؤمنين (ع) ، عن إثبات الصانع ، فقال : «البعرة تدل على البعير ، والروثة تدل على الحمير ، وآثار القدم تدل على المسير ، فهيكل علوي بهذه اللطافة ، ومركز سفلى بهذه الكثافة ، كيف لا يدلان على اللطيف الخبير ؟» .

● وقال (ع) : «بصنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالتفكر تثبت حجته ، معروف بالدلالات ، مشهور بالبينات . . .» (البحار : ٣/٥٥) .

● وقال هشام بن الحكم : فكان من سؤال الزنديق أنْ قال : «فما الدليل عليه ؟ قال أبو عبدالله (ع) : وجود الأفاعيل التي دلت على أنَّ صانعاً صنعها ، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني ، علمت أنَّ له بانياً ، وإنْ كنت لم تر الباني ، =

وللموحدين أدلة كثيرة في إثبات واجب الوجود ، وخالق الممكنات ، ولو أننا لا نحتاج في إثبات وجوده ، تبارك وتعالى ، إلى أي دليل ، لأنَّ وجوده أمر وجداني ، لا شك فيه : ﴿**أفي الله شَكٌّ فاطر السَّمٰوات**

= ولم تشاهده ؟» (البحار : ١٠/١٩٥ ـ التوحيد : ص ٢٤٤) .

● وقال شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، في إثبات واجب الوجود : «كل معقول ، إما أن يكون واجب الوجود في الخارج لذاته ، وإما ممكن الوجود لذاته ، وإما ممتنع الوجود لذاته ، ولا شكَّ في أنَّ هنا موجوداً بالضرورة ، فإن كان واجباً لذاته ، فهو المطلوب ، وإنْ كان ممكناً ، افتقر إلى موجد يوجد بالضرورة ، فإن كان الموجد واجباً لذاته ، فالمطلوب ، وإن كان ممكناً افتقر إلى موجد آخر ، فإن كان الأول دار ، وهو باطل بالضرورة ، وإنْ كان ممكناً آخر ، تسلسل ، وهو باطل أيضاً ، لأنَّ جميع آحاد تلك السلسلة الجامعة لجميع الممكنات ، تكون ممكنة بالضرورة ، فتشترك في امتناع الوجود لذاتها ، فلا بدَّ لها من موجد خارج عنها بالضرورة ، فيكون واجباً بالضرورة ، وهو المطلوب» . (مصباح المتهجد : ص ١٨) .

● وقال الحافظ رجب البرسي : «سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، وقمر ذو إشراق ، وسراج وهاج ، وسحاب صاعد ، وماء فجاج ، وأجسام ذات =

والأرض﴾[1] .

ومن ذا الذي يشكّ في وجود الباني إذا رأى قصراً وبناءً ؟ أو في وجود النجار إذا رأى باباً ؟

بل العاقل البصير يتوجه إلى وجودهما ، بمجرّد مشاهدة صنعهما . كذلك الآفاق والأنفس[2] ، وخالقهما ، لأنه أمر ضروري ، لا ينكره ذو حسّ ووجدان : «عميت

= أعضاء ، وأحياء وأمشاج ، والكل يدلون على الصانع القدير. . .» . (مشارق أنوار اليقين : ص ٩) .

● وعن أبي إبراهيم (ع) ، قال : «وكل متحرك محتاج إلى من يحركه ، أو يتحرك به» . (أصول الكافي : ١/١٢٥) .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .

(٢) سأل أبو شاكر الديصاني أبا عبدالله (ع) ، فقال له : «ما الدليل على أنَّ لك صانعاً ؟ فقال : وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن أكون صنعتها أنا ، أو صنعها غيري ، فإن كنت صنعتها أنا ، فلا أخلو من أحد معنيين : إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة ، أو صنعتها وكانت معدومة ، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة ، فقد استغنت بوجودها عن صنعتها ، وإنْ كانت معدومة ، فإنك تعلم أنَّ المعدوم لا يحدث شيئاً ، فقد ثبت المعنى الثالث : أنَّ لي صانعاً وهو الله رب العالمين» (التوحيد : ص ٢٩٠) .

عين لا تراك»[1] .

بل المنكر هو الذي عليه أنْ يأتي بالدليل والبرهان ، ويعرض لنا موجوداً ، وُجد بغير موجد ، ويدلنا على مصنوع ، صُنع من غير صانع ، وأنَّى له ذلك ، وعندنا شهادة العقل والوجدان لا تتزلزل بتشكيك المشككين ، والحمد لله رب العالمين .

توحيد الذات :

إنَّ الله سبحانه، لا شريك له في الذات ، ولا في الصفات ، ولا في الأفعال ، ولا في العبادة .

ويجب الإعتقاد بأنَّ الموجد للموجودات كافة ، والصانع للمكنات عامة ، هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصَّمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد : **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**[2] ، **﴿أمن**

---

(١) قال الحسين (ع) ، في دعاء (يوم عرفة) : «كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور ، ما ليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟ **عميت عين لا تراك عليها** رقيباً . . . » (سفينة البحار : ٢/٦٣٦ ـ قرة العيون : ص ٣٣٤ ـ مفاتيح الجنان : ص ٣٤٢) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إنْ كنتم صادقين﴾[1] .

والمطالعة في الكائنات ، ومشابهة بعضها لبعض في العيشة والحياة ، كما أنَّ الذرَّة مثلاً وما في جوفها من الشموس والكواكب ، وحركاتها التي تشبه الأفلاك شبهاً كاملاً ، والإنسان الذي يمثل العالم الأكبر في طبقات وجوده ، ودقائق خلقته ، تدلك على أنَّ خالق الذَّرة هو خالق الدرَّة ، وصانع الإنسان هو مكوّن الأكوان : ﴿وهو الذي في السَّماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم﴾[2] :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[3]

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٨٤ .

(٣) قال السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ) : «وجرى على الألسنة قول الإمام الصادق (ع) :

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

(راجع زهر الربيع : ص ٣٢٣) . والشعر لأبي العتاهية (ت ٢١٠ هـ) .

وأوضح الأدلة على وحدانيته تعالى ، وأبسطها دليلاً : الفرجة ، والتمانع :

دليل الفرجة :

لو فرضنا إلهين اثنين قديمين[1] ، فلا بد بينهما فرجة ، حتى يتميز كل عن الآخر ، وهذه الفرجة لا بدَّ أنْ تكون قديمة مثلهما ، وإلا إنْ كانت حادثة ، وأثَّرت في القديم ، لم يكن القديم إلهاً .

فلو فرضناها قديمة ، تكون الآلهة حينئذ ثلاثة بينهم فرجتان ، فتكون الآلهة خمسة بينهم أربع فرج ، فتكون تسعة ، فسبعة عشر ، فثلاثة وثلاثين ، فخمسة وستين ،

---

(١) عن هشام بن الحكم ، أنه قال : سأل الزنديق الإمام الصادق (ع) ، قال : لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد ؟ قال أبو عبدالله (ع) : لا يخلو قولك إنهما إثنان ، من أن يكونا قديمين قويين ، أو يكونا ضعيفين ، أو يكون أحدهما قوياً ، والآخر ضعيفاً ، فإنْ كانا قويين ، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ، ويتفرد بالربوبية ؟ وإنْ زعمت أنَّ أحدهما قويّ ، والآخر ضعيف ، ثبت أنه واحد ـ كما نقول ـ للعجز الظاهر في الثاني .

وإنْ قلت : إنهما اثنان ، لم يخل من أنْ يكونا متفقين من =

إلى ما لا نهاية ، وهذا باطل لا يصير إليه عاقل[1] .

= كل جهة ، أو مفترقين من كل جهة ، فلما رأينا الخلق منتظماً ، والفلك جارياً ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، دل صحة الأمر والتدبير ، وائتلاف الأمر على أنَّ المدبر واحد . (البحار : ٣/ ٢٣٠ و ٢٣٩ ـ الأصول من الكافي : ١/ ٨١) .

(١) قال الإمام الصادق (ع) : «ثم يلزمك إن ادَّعيت اثنين ، فلا بدَّ من فرجة بينهما ، حتى يكونا اثنين ، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما ، قديمة معهما ، فيلزمك ثلاثة ، وإن ادَّعيت ثلاثة ، لزمك ما قُلْنا في الإثنين ، حتى يكون بينهما فرجتان ، فيكونوا خمسة ، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة . . .» (المصدر نفسه) .

● وقال العلامة المجلسي ، أعلى الله مقامه ، في شرح ذلك : «. . . ويلزمك إنَّ ادَّعيت اثنين ، فرجة ما بينهما ، لأنَّ لهما وحدة ، فلا يتمايزان إلا بمميّز فاصل بينهما ، حتى يكونا اثنين ، لامتناع الإثنينية بلا مميز بينهما ، وعبَّر عن الفاصل المميز بـ (الفرجة) ، حيث أنَّ الفاصل بين الأجسام ، يُعبَّر عنه بـ (الفرجة) ، وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات ، وذلك المميز لا بدَّ أن يكون وجودياً داخلاً في حقيقة أحدهما ، إذ لا يجوز التعدد مع الإتفاق في تمام الحقيقة ، ولا يجوز أن يكون ذلك المميز ذا حقيقة ، يصح =

دليل التمانع :

لو فرضنا إلهين اثنين ، يريد هذا أن يـرزق زيداً رزقـاً واسعاً ، ويريد ذاك أنْ لا يرزقه ، فإما تنفذ الإرادتان معاً ، أو لا ، أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر :

الغـرض الأول محال ، والغـرض الثاني ينفي كـونهما إلهين ، لضعفهمـا ، وضعف إرادتهمـا ، وفي الثـالث ،

= انفكاكها عن الـوجود ، وخلوهـا عنه ، ولـو عقلاً ، وإلا لكـان معلولاً ، محتـاجاً إلى المبـدأ ، فلا يكـون مبـدأ ، ولا داخـلاً فيه ، فيكون المميز الفاصـل بينهما قـديماً ، مـوجوداً بـذاته ، كالمتفق فيه ، فيكون الواحـد المشتمل على المميـز الوجـودي اثنين ؛ لا واحداً ، ويكون الإثنان اللذان ادعيتهما ثلاثة ، فـإن قلت به ، وادعيت ثلاثة ، لزمـك ما قلتُ في الإثنين من تحقق المميز بين الثلاثة ، ولا بد من مميزين وجوديين ، حتى تكـون بين الثـلاثة فـرجتان ، ولا بـد من كونهمـا قديمين ، فيكـونـوا خمسة ، وهكذا ، ثم يتناهى في العدد إلى مـا لا نهايـة له في الكثرة : أي يتناهى الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة ، أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية ، أو المـراد أنه يلزمـك أن يتنـاهى المعـدود المنتهي ضـرورة ، بمعـروض مـا ينتهي إليـه العدد ، أي الـواحد ، إلى كثيـر ، لا نهايـة لـه في الكثرة ، فيكون عدداً بلا واحد ، وكثرة بلا وحدة ، وعلى هـذا يكـون الكـلام بـرهـانيـاً ، لا يحتـاج إلى ضميمـة» (البحـار : =

النافذ إرادته هو الله وحده[1] .

توحيد الصفات :

ويجب الإعتقاد بأنَّ صفاته الثبوتية عين ذاته ، ولا

= ٣/٢٣٥) .

(١) قال العلامة المجلسي ، أعلى الله مقامه : «برهان التمانع : وأظهر تقريراته أنَّ وجوب الوجود يستلزم القدرة والقوة على جميع الممكنات ، قوة كاملة ، بحيث يقدر على إيجاده ، ودفع ما يضاده مطلقاً ، وعدم القدرة على هذا الوجه نقص ، والنقص عليه تعالى ، محال ضرورة ، بدليل إجماع العقلاء عليه ، ومن المحال عادة إجماعهم على نظريّ ، ولئن لم يكن ضرورياً ، فنظري ظاهر متسق الطريق ، واضح الدليل ، واستحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر .

فنقول حينئذٍ : لو كان في الوجود واجبان ، لكانا قويين ، وقوتهما تستلزم قوتهما ، لأنَّ قوة كل منهما على هذا الوجه ، تستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريده نفسه من الممكنات ، والمدفوع غير قوي بهذا المعنى ، الذي زعمنا أنه لازم لسلب النقص .

● فإن قلت : هذا إنما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن ، بشرط إرادة الآخر لضده ممكناً ، وبالعكس ، وليس كذلك ، بل إرادة كل منهما له ، بشرط إرادة الآخر لضده =

يتصف بتلك الصفات غيره ، ولا يشاركه فيها أحد ، وهي ستة :

(العلم ، القدرة ، الحياة ، السمع ، البصر ، والقدم) .

١ ـ العلم :

إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، عالم بجميع الأُمور والأشياء ، كليها وجزئيها ، كبيرها وصغيرها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض ، عالم بالموجودات قبل وجودها ، وعلمه بالشيء قبل وجوده ، كعلمه به بعد وجوده ، ليس فيه تغيير ، ولا تبديل ، بل هو عين ذاته ، وليس لما سواه في هذا العلم ، حظ ولا نصيب .

نعم ، هناك علم حادث ، خلقه ونسبه إلى نفسه ، واستودعه في ألواح نفوس من أحبّ وشاء ، من الأنبياء ،

= ممتنع ، ونظير ذلك أن إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضده محال ، ولا يلزم منه نقص .

● قلت : امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر ، هو الإمتناع بالغير ، وإقناعه بالغير تحقق النقص والعجز ـ تعالى عن ذلك ـ وأما امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضده ، فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتي ، وإن كان امتناع الإرادة امتناعاً بالغير ، ومثله غير ملزوم للنقص ، بخلاف ما نحن فيه ، فإنَّ المراد ممتنع بالغير . . . (البحار : ٣/٢٣٢) .

والمرسلين ، والملائكة المقربين ، وعباده الصالحين ، وأشار لهذا العلم في كتابه العزيز بقوله : ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾[1] .

٢ ـ القدرة :

إنه تعالى قادر ، وفاعل مختار ، والقدرة عين ذاته ، ولو لم يكن قادراً ، لكان عاجزاً ، والعجز من صفات الحادث ، ولو لم يكن مختاراً ، لكان مضطراً ، والإضطرار أيضاً ، علامة للعجز والذل ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

٣ ـ الحياة :

إنَّ الله حيّ ، لأنه هو الذي وهب الحياة ، وخلق الأرض والسَّماوات : ﴿**هو الحي لا إله إلا هو**﴾[2] ، ولا يخلق الخلق ، ولا يهب الحياة ، إلا الحي القيوم الدائم ، والموت من صفات الحادث ، ولا يتصف القديم به أبداً .

٤ ـ ٥ ـ السمع والبصر :

إنه تعالى سميع بصير ، والسَّمع والبصر عين ذاته ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٥ .

يسمع أصوات الداعين ، وتسبيح المسبّحين ومناجاتهم ، ويبصر جميع مخلوقاته ، ويرى أعمالهم ، ويحيط بأسرارهم ، من دون آلة السمع والبصر : ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾[1] .

فلو كان سمعه وبصره ، بواسطة عضو وجارحة ، كأسماعنا وأبصارنا ، لثبت احتياجه لهما ، وهو الغني والمنزَّه عن الإحتياج الذي هو من صفات الحادث الضعيف .

٦ ـ القِدم :

ويجب الإعتقاد بأنه تعالى قديم أزلي ، ليس بحادث ، لأنَّ الحادث لا بدَّ له من موجد ، ولا بدَّ له من التغيير ، والموت ، والعدم ، سبحانه وتعالى عن هذه الصفات ، لأنها صفات الممكن ، والواجب منزَّه عنها ، وهو القديم ، الأزلي ، الأبدي ، ليس قبله شيء ، ولا بعده شيء ، وليس كمثله شيء .

هذا ، وجماعة من الحكماء ، ألحقت بالصفات الثبوتية

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(الكرم) ، ولا بأس به ، وبعضهم ألحق بها الإدراك ، وليس بشيء ، لأنه فرع العلم ، وقد قلنا : إنَّ العلم من صفاته الذاتية. وبعضهم ألحق بها الإرادة ،اشتباهاً ، لأن الإرادة مخلوقة ، كما قال بها (الكليني)[1] ، رضوان الله عليه ، وروى حديثاً في حدوثها[2] .

---

(١) الكليني : ثقة الإسلام ، أبو جعفر ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي كان أوثق الناس في الحديث ، وأثبتهم، صنَّف الكتاب المعروف بـ (الكافي) في عشرين سنة ، وهو أحد أهم مصادر الفقه بعد (التهذيب) ، و (الإستبصار) و (من لا يحضره الفقيه) ، وهو من أجل الكتب الإسلامية ، وأعظم المصنفات الإمامية ، لم يُصنَّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه . توفي علامة الشيعة الإمامية ، أبو جعفر الكليني ببغداد سنة (٣٢٩ هـ)، ودفن بباب الكوفة (سنن النبي (ص) : ص ٢٣) .

(٢) عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن (ع) : «أخبرني عن الإرادة من الله ، ومن الخلق ؟ قال ، فقال : الإرادة من الخلق ، الضمير ، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه ، لا غير ذلك ، لأنه لا يروّي ، ولا يهمّ ، ولا يتفكر ، وهذه الصفات منفية عنه ، وهي صفات الخلق ، فإرادة الله الفعل ، لا غير ذلك ، يقول =

والإرادة هي الرتبة الثانية للمشيئة ، وجاء فيها : «خلق الله الأشياء بالمشيئة ، وخلق المشيئة بنفسها»[1] ، وهذا الخبر يدل على حدوث المشيئة ، فحدوث الإرادة التي هي فرع المشيئة بطريق أولى .

وأيضاً تمتاز الصفات الذاتية الثبوتية عن غيرها بأنها لا

= له : كن فيكون ، بلا لفظ ، ولا نطق بلسان ، ولا همة ، ولا تفكر ، ولا كيف لذلك ، كما أنه لا كيف له» .

وقال الكليني ، أعلى الله مقامه : «. . . ولا يجوز أن يقال : أراد أن يكون رباً ، وقديماً ، وعزيزاً ، وحكيماً ، ومالكاً ، وعالماً ، وقادراً ، لأنَّ هذه الصفات ، هي من صفات الذات ، والإرادة من صفات الفعل ، ألا ترى أنه يقال : أراد هذا ، ولم يرد هذا ، وصفات الذات تنفي عنه بكل صفة منها ضدها ، فيقال : حي ، وعالم ، وسميع ، وبصير ، وعزيز ، وحكيم ، غني ملك حليم ، عدل ، كريم ، فالعلم : ضد الجهل ، والقدرة : ضدها العجز ، والحياة : ضدها الموت ، والعزة : ضدها الذلة ، والحكمة : ضدها الخطأ ، وضد الحلم : العجلة ، والجهل ، وضد العدل : الجور والظلم» . (الأصول من الكافي : ١/١٠٩) .

(١) الأصول من الكافي : ١/١١٠ ـ التوحيد : ص ١٤٨ و ٢٣٩ ـ البحار : ٤/١٤٥ .

تسلب ، ولا تفارق الذات ، وليس لك أنْ تقول علم الله ولم يعلم ، قدرَ ولم يقدِرْ ، سمِعَ ولم يسمَع ، ولكنك تقول : شاء ولم يشأ ، أراد ولم يُرد ، أحبَّ ولم يحب : «ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن»[1] : ﴿لم يرد الله

(١) قال الفقيه المحدث المفسر علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الجبعي العاملي (ت ١١٠٣ هـ) ، في (الدر المنثور من المأثور وغير المأثور : ص ٦٠) : «ومن ذلك ما ورد في بعض الآثار ، وهو : «ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن» . أقول : هذا مما تمسك به أهل الجبر ، وقد خطر لي في توجيهه أوجه :

أحدها : أن يكون المعنى أنَّ كل شيء يتعلق به مشية الله تعالى ، يكون بخلاف مشية غيره ، فإنه لا يكون كل ما يشاؤه ، وما لم يشأ لم يكن بخلاف غيره ، فإن الذي لا يشاؤه قد يكون . ونحوه ما ورد في الدعاء : «يا من يفعل ما يشاء ، ولا يفعل ما يشاء غيره» . ورأيت بعد كتابة هذا في (شرح أصول الكافي) كلاماً لشيخنا المفيد ، قدس الله روحه ، في رسالته في العقائد ، هذا لفظه : «وقول المسلمين : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن» يعنون بذلك من أفعاله خاصة ، دون أفعال المكلفين يشهد بذلك قوله تعالى ﴿والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة : ٢٠٥) ، ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ (غافر : ٣١) .

أن يطهر قلوبهم﴾[1] ، ﴿إنَّ الله لا يحب كل مُخْتَال فخور﴾[2] .

توحيد الأفعال :

يجب الإعتقاد بأنَّ الخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، وغيرها من الأفعال الكونية والإمكانية ، التي تسمى بالصفات الفعلية ، كلها مختصة بالله ، تبارك وتعالى ، لاتكون إلا بأمره ومشيئته ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿هو الله الخالق البارىء المصور﴾[3] ، ﴿إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾[4] ، ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾[5] ، فلا يشاركه فيها أحد .

فالأرض والسماء ، وحملة العرش وغيرهم ، والعناصر والفصول ، والآباء والأمهات ، وغيرها من دون استثناء ، وسائل وأسباب ، كما قال الإمام الرضا (ع) :

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٨ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٨ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨ .

«أبى الله أنْ يجري الأُمور إلا بأسبابها»[1] ، فقد اقتضت حكمته ، جل وعلا ، أنْ يجعل بعضاً من مخلوقاته ، سبباً للخلق، أو وسيلة للرزق ، أو علة للإحياء والإماتة .

كما أنَّ حملة العرش وسائل للأفعال الأربعة التي بها قوام الوجود : فميكائيل للرزق ، وإسرافيل للحياة ، وعزرائيل للموت ، وجبرائيل للخلق ، وهم يستمدون الفيض من الملائكة العالين ، الذين يحملون العرش فوقهم ، وهم (العقل الكلي ، والروح الكلية ، والنفس الكلية ، والطبيعة الكلية) . فحملة العرش ثمانية ، كما هي صريح الآية الشريفة : ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية**﴾[2] .

وما ظهر من بعض الأنبياء والأولياء ، من المعاجز والكرامات ، كخلق الخفاش ، وإحياء الموتى من المسيح (ع) ، وأمثالها من المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، إما لإثباته مقاماتهم المنيعة ، من النبوة والإمامة ، وإما لأنهم من جملة الوسائل الوجودية ، والأسباب الكونية ، بأمر من الجليل ، جل وعلا ، وهذا لا

---

(١) البحار : ٢/ ٩٠ .

(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٧ .

ينافي التوحيد ، فالأسباب العالية ، والوسائل المتعالية ، كالأسباب العادية ، والمسببات كلها خلقه وعبيده ، ليس لهم استقلال ولا طرفة عين أبداً : ﴿**بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾[1] .

توحيد العبادة : ﴿وقضى ربُّك ألَّا تعبُدُوا إلَّا إيَّاه﴾[2] :

لا يجوز التوجه في العبادات إلا إلى الله الواحد الأحد ، ولا معبود سواه ، من دون تصور أحد من الملائكة المقربين ، أو الأنبياء والمرسلين ، أو الأئمة المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، فضلاً عمّن سواهم من العباد ، والرعايا ، ولا يليق للعبادة ، إلا هو ، خالق السماوات والأرض ، وأهل الكبرياء والعظمة ، وأهل الجود والجبروت : ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون**﴾[3] .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٢٦ و ٢٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٢٣ .

إنَّ التوجه إلى الكعبة المكرمة ، وقبلها إلى البيت المقدس ، ليس إلا توجّه العباد إلى نقطة شريفة ، مقدسة ، معينة ، جامعة للشتات ، مانعة عن التفرق ، داعية إلى النظام المطلوب ، والمقصود هو الله : ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[1] .

إنَّ الأعمال التي تكون فيها مثقال ذرة لغير الله ، لا ترفع ، ولا تقبل ، بل تكون وبالاً على المكلف ، وبعداً عن الله : ﴿**فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[2] .

الصفات السلبية :

هناك صفات لا تناسب مقام الواجب القديم ، ويجب سلبها عن ذاته ، جلَّ وعلا ، فلذا سميت بالصفات السلبية ، وهي سبعة كما قالوا : (التركيب ، والجسمية ، والعرضية ، وكونه محلاً ، وأن يكون مرئياً ، وأنْ يكون له شريك ، والإحتياج ، وأن يكون له معانٍ) ، وكلها من صفات الحادث والممكن ، فلا يجوز أنْ يتصف بها الواجب القديم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

إنه ، تقدس وتعالى ، ليس بمركب ، لأنَّ المركب يحتاج في وجوده وبقائه إلى أجزائه ، وهو الغني المنزَّه عن الإحتياج ، ولا بجسم ، ولا عرض ، ولا محل للحادث ، ولا يمكن أن يُرى ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة : ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾[1] ، وكما قال لنبيه وكليمه : ﴿**لن تراني**﴾[2] ، وحرف (لن) يفيد نفي الأبد .

ولا شريك له كما فصلنا ، ولا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه : ﴿**وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا**﴾[3] .

وليس له معان ، يعني أنَّ ذاته لا تعبر ، ولا تفسر ، ولا تطرأ عليه أحوال من الضعف والقوة ، والمرض والصحة ، والطفولة والشباب ، والكهولة والشبيبة ، لأنَّ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٢) قال تعالى : ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربُّه قال ربِّ أرني أنظر إليك قال لن تراني**﴾ (الأعراف : ١٤٣) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١١١ .

الجميع من صفات الإمكان والحدوث ، ولا يجري عليه ما هو أجراه .

لا يُعرف الله من طريق ذاته :

يجب الإعتقاد بأنَّ الخلائق أجمعين مكلفون لمعرفة الله ، تبارك وتعالى ، ولم يخلقوا إلا ليعرفوه ، كما قال ، عزَّ وجل : ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون**﴾[1] ، والعبادة لا تكون إلا بعد المعرفة ، لأنها فرعها[2] ، وجاء

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : «أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف . . .» . وقد شرح الإمام محمد عبده هذا الكلام بقوله : «أساس الدين معرفة الله ، وهو قد يعرف بأنه صانع العالم ، وليس منه ، وهي معرفة ناقصة ، وكمالها التصديق به ذاته ، بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره ، وهي وجوب الوجود . ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد ، لأنَّ الواجب لا يتعدد . . . الخ» (راجع شرح نهج البلاغة لمحمد عبده : ص ٢٣) .

في الحديث القدسي : «كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لكي أُعرف»[1] ، ولكنه تعالى لا يعرف من جهة ذاته .

ولا بدَّ بين المدرِك والمدرَك من الجنسية والسنخية ، وليس بين القديم والحادث شبه : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[2] ، وأيضاً لا بدَّ أنْ يكون المدرِك محيطاً بالمدرَك ، وإحاطة ذات الله ، عز وجل ، لما سواه محال ، وإلا لانقلب الواجب ممكناً ، والممكن واجباً ، ومن ادعى ذلك ، فهو كافر كذاب .

نعم ، إنَّ معرفته ، جلَّ وعلا ، من جهة آثاره ، ومخلوقاته ، كما قلنا في مبحث التوحيد ، بالنظر إلى العوالم الآفاقية ، والأنفسية ، قال عز وجل : ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[3] ، وقال أمير المؤمنين (ع) : «دليله آياته ، ووجوده إثباته»[4] .

---

(١) راجع كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : ٢/١٧٣ ـ ح ٢٠١٦ .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٤) البحار : ٤/٢٥٣ .

فالواجب على كـلّ مكلف أنْ يجتهد في معرفة ربه ، على قدر إمكانه وقدرته ، فإنها وسيلته الـوحيدة في سعـادة دنياه وآخرتـه ، فيطالـع أولاً في كتاب نفسـه ، ويتعمق في خلقـة أعضائـه وجوارحـه من القلب ، والرئـة ، والكبـد ، والكليتين، والشرايين ، والأوردة ، والمـخ ، والمخيــخ ، وبصل النخاع ، والأعصاب ، والمعدة ، والأمعـاء الدقيقة والغليظة، والسامعـة ، والباصـرة ، والذائقـة ، والشامـة ، والـلامسـة ، وغيـرهـا من الحـواس الـظاهـرة والبـاطنـة ، ووظـائفها الهـامة ، والكـريات الصغيـرة ـ التي لا تـرى إلا بـالمكبرات ـ المنبثـة في الدم ، وأنحـاء البدن ، وأعمـالها الكبيرة ، وينظر إلى بديع نـظامها ، ودقـة أعمالهـا ، وثقل وظائفها ، ووحدتها في العمل ، مع كثرتها ، واتحادها مـع تفرقها ، ويتوجه إلى إتقانها ، وعـظمة صـانعها ، ويعتـرف بوجوده ، وعلمه ، وحياته ، وقدرته ، وحكمته ، فيوحده ، ويعبده ، ويخضع له .

ثم يجتهد في معرفة نفسه ، وحقيقته التي هي الطريق الأنيق إلى معـرفـة ربّـه ، فيسلك سبيـل المؤمنين ، ويتبـع شريعة سيد المرسلين ، ومذهب آله المعصـومين ، ويعمل بـالكتـاب والسنــة ، ويـرتــاض في تصفيـة نفســه بعمـل المستحبات ، وتجنب المكروهات .

ثم يتخلق بالأخلاق الكريمة ، ويعمل الأعمال الجليلة ، ويخالف هواه ، ويتبع أمر مولاه ، فهناك يصبح ناجحاً ، ويتيسر له معرفة نفسه ، فيسهل له معرفة ربه ، قال أمير المؤمنين (ع) : «من عرف نفسه ، فقد عرف ربَّه»[1] ، ولهذه الكلمة الثمينة تفسير لطيف ، ليس هذا محله[2] .

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٤٠٣ ـ رقم ٨٠٤٨ ـ الفوائد الطوسية : ص ٧٩ ـ سفينة البحار : ٢/٦٠٣ ـ كشف الخفاء : ص ٣٤٣ ـ رقم ٢٥٣٢ ـ وقال إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢ هـ) «إنَّ الشيخ محيي الدين بن عربي قال : وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف ، سماه : (القول الأشبه في حديث : من عرف نفسه ، فقد عرف ربه) اهـ. وهو من الكتب الموجودة في الحاوي للفتاوي) للسيوطي . وقال النجم ، عن عائشة : سئل النبي (ص) : من أعرف الناس بربه ؟ قال : أعرفهم بنفسه» .

(٢) وقال المحدث الأكبر محمد بن حسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) : «قد خطر ببالي وجوه ، إثني عشر ، وقد ذكر العلماء بعضها :

الأول : إنه لما حركت النفس البدن ، والروح ، والجسد ، لزم من معرفة ذلك له ، معرفة أنَّ للعالم مدبراً ، =

معرفة العالم الأكبر :

وإذا تيسَّر له معرفة نفسه بالرياضات الشرعية ،

= وللسكون محركاً ، فمعرفة النفس من جملة الأدلة الموصلة إلى معرفة الرب .

الثاني : إنَّ من عرف أنَّ نفسه واحدة ، وأنها لو كانت اثنتين ، لأمكن التعارض والممانعة ، عرف أنَّ الرب واحد ، و ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ (الأنبياء : ٢٢) .

الثالث : من عرف أنَّ النفس تحرك بالجسد ، بإرادتها ، علم أنَّهُ لا بد للعالم من محرك مختار ، للقطع بوجوب كمال الخالق ، وتنزهه عن النقص ، وللعلم بامتناع الحركة والتأثير ممن عدمت نفسه ، وفارقت بدنه .

الرابع : من عرف أنَّه لا يخفى على النفس ، أحوال الجسد ، علم أنَّهُ لا يعزب عن الباري مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، لامتناع علم المخلوق ، وجهل الخالق تعالى .

الخامس : من عرف أنَّ النفس ليست إلى شيء من الجسد ، أقرب منها إلى شيء منه ، علم أنَّ نسبة الأشياء كلها إلى قدرة الله تعالى ، وعلمه ، على السَّواء .

السادس : من عرف أنَّ النفس موجودة قبل البدن ، باقية =

والجهاد النفساني ، وأحاط بها ، ولو إجمالاً ، يتهيأ لمعرفة

= بعده ، عرف أنَّ ربَّهُ كان موجوداً قبل المخلوقات ، وهو باق بعدها ، لم يزل ، ولا يزال .

السابع : من عرف أن نفسه لا يعرف كنه ذاتها ، وحقيقتها ، عرف أنَّ ربَّهُ كذلك بطريق أولى .

الثامن : من عرف أنَّ نفسه لا يعرف بها مكان ، ولا يعلم لها أبنية ، عرف أنَّ ربَّه منزَّه عن المكان والأبنية .

التاسع : من عرف أنَّ النفس لا تحسّ ، ولا تمسّ ، ولا تدرك بالحواس الظاهرة ، عرف أنَّ الله سبحانه كذلك .

العاشر : من عرف نفسه ، علم أنَّها أمَّارة بالسُّوء ، فاشتغل بمجاهدتها ، وبعبادة ربه ، ومن عبد الله وأطاعه كانت معرفته صحيحة ، ومن عصاه ، فكأنه لم يعرفه ، إذ لم ينتفع بمعرفته ، فهو أسوأ حالاً ممن لم يعرفه ، فكأنه قال (ع) : من عرف نفسه جاهدها ، وعبد ربّه ، ومن عبده فقد عرفه حق المعرفة ، وحصل له ثمرة العلم به ، وهذا ما خطر بخاطري ، ولم يذكره أحد فيما أعلم .

الحادي عشر : من عرف نفسه بصفات النقص ، عرف ربه بصفات الكمال ، إذ النقص دل على الحدوث ، فيلزم ملازمة الكمال المقدم . =

العالم الأكبر ، لأنه طبق العالم الصغير الذي هو وجوده ، كما قال سيد الموحدين (ع) :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر[1]

نعم ، إنَّ المطالعة في الكتاب الأنفسي ، تحل مشكلات الكتاب الآفاقي ، وتظهر ضمائره ، وتكشف أسراره ، فيدرس معارفه ، ويطلع على نواميسه ، ويقرب من رتبة سلمان ، الذي قال في حقه سيد الكائنات : «لو كان العلم في الثريا ، لتناوله رجال من فارس»[2] .

= **الثاني عشر** : إنه علق محالاً على محال ، أي كما لا يمكن معرفة حقيقة النفس ، كذلك لا يمكن معرفة حقيقة الرب ، فيجب أنْ يوصف بما وصف نفسه تعالى والله أعلم» (الفوائد الطوسية : ص ٧٩) .

(١) قرة العيون : ص ٣٤٩ ـ وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (ع) : ص ٤٥ ، وأول الأبيات :

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر

(٢) وورد الحديث بلفظ آخر : «لو كان العلم منوطاً بالثريا ، لتناوله رجال من فارس» وفي رواية : «لتناوله أبناء فارس» (سفينة البحار : ٢/٣٥٦) .

معرفة الله على قدر معرفة آياته وصفاته :

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَتْ * وإلى السَّماء كَيْفَ رُفِعَتْ * وإلى الجبال كيفَ نُصِبَتْ * وإلى الأرض كَيْفَ سُطِحَتْ * فذكّر إنما أنْتَ مذكر﴾[1] .

إنَّ معرفة الأعرابي الجاهل في توحيد الله ، عزَّ وجلّ ، بالنظر إلى ناقته ، وطول عنقها ، وقوة قوائمها ، وتحملها مشاق الأحمال والسير ، وصبرها على الجوع والعطش ، غير معرفة ذلك الفلكي العالم الذي ينظر إلى عجائب هذا المحيط الكبير ، ويشاهد أعماق السَّماوات من وراء المقربات ، ويطالع في جمال الأفلاك ، ونظام الثوابت والسيارات ، وحركات الكواكب والأقمار ، وتأثير نواميسها في الحياة ، وقوة جاذبيتها .

فلا بدَّ لنا من الإعتراف بأنَّ معرفة هذا الفلكي في وجود الصانع وعظمته ، أفضل ، وأعلى ، وأدق من توحيد ذلك الأعرابي .

وأعظم من هذا وذاك ، معرفة الله بسبيل أنبيائه ، ورسله ، وعباده الصالحين الذين ظهروا بالصورة البشرية

---

(١) سورة الغاشية ، الآيات : ١٧ ـ ٢١ .

التي هي أكبر حجج الله، والسيرة الإنسانية ، والأخلاق الجميلة الملكوتية ، والروح القوية الجبروتية ، والحقيقة المقدسة اللاهوتية : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1] ، ﴿فإذا سوَّيتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[2] .

وبالأخص إذا عرف من مقامات أكبرهم ، وسيدهم ، وأكثرهم علماً ، وأجلهم شأناً ، وأرقاهم رتبة الذي ﴿دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[3] ، فكان من ربه من القرب ، ما لم يصل إليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل !

فمعرفة هذا الموجود الكامل ، وأهل بيته المعصومين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهَّرهم تطهيرا ، وجعلهم بمنزلة نفسه ، وخلفائه ، وأوصيائه ، قد ورثوا علمه ، ومراتبه المنيعة ، إلا النبوة ، وكلهم آياته العظمى ، وحججه الكبرى ، وصفاته العليا ، مصادر فيضه ، ومظاهر عدله ، ومرائي جماله ، ومحال مشيئته وأفعاله ، ومن عرفهم ، فقد عرف الله ، ومن أحبهم ، فقد

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة النجم ، الآيتان : ٨ ، و ٩ .

أحَبَّ الله، ومن أبغضهم ، فقد أبغض الله، لأنهم وجه الله الباقي ، وأذن الله السامعة ، وعينه الناظرة ، ولسانه الناطق ، ويده الباسطة .

قال (ع) : «بنا عرف الله ، وبنا عبد الله ، ولولانا ما عرف الله ، ولولانا ما عُبد الله ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله»[1] .

---

(١) قال عبد الرحمن بن كثير ، سمعت أبا عبدالله (ع) يقول : «نحن ولاة أمر الله ، وخزنة علم الله ، وعيبة وحي الله ، وأهل دين الله ، وعلينا نزل كتاب الله ، وبنا عبد الله ، ولولانا ما عرف الله ، ونحن ورثة نبي الله ، وعترته» (بصائر الدرجات : ص ٨١ ـ ح ٣) .

وعن بريد ، قال : «سمعت أبا جعفر (ع) يقول : «بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وعد الله ، ومحمد (ص) حجاب الله» (بصائر الدرجات : ص ٨٤ ـ ح ١٦) .

وقال أبو عبدالله (ع) : «إنَّ الله ، تبارك وتعالى ، انتجبنا لنفسه ، فجعلنا صفوته من خلقه ، وأمناءه على وحيه ، وخزانه في أرضه ، وموضع سره ، وعيبة علمه ، ثم أعطانا الشفاعة ، فنحن أذنه السامعة ، وعينه الناظرة ، ولسانه الناطق بإذنه ، وأمناؤه على ما نزل من عذر ، ونذر ، وحجة» (بصائر الدرجات : ص ٨٢ ـ ح ٧) ، (البحار : ٢٦ / ٢٦٠) .

٢- العَدْلُ

وهو من أُصول مذهبنا (الإمامية) ، فيجب على كل مؤمن أنْ يعتقد بأنَّ الله، عزَّ وجلّ ، عادل ، لا يظلم أحداً : ﴿وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد﴾[١] ، ولا يحب الظلم والجور ، بل هو الرحمن ، يعطي كل ذي حق حقه ، ويسوق إلى كل ذي رزق رزقه ، على قدر ما يطلبه بلسانه وأعماله ، واستعداده ، وقابليته ، فيحسن لمن أطاعه وعمل الصالحات ، ويعذب من عصاه وعمل السيئات ، ويغفر لمن تاب ، وآمن ، وعمل صالحاً : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٢] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٢ .

(٢) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، و ٨ .

والظلم ضد العدل ، وهو إعطاء ما لا ينبغي ، وعدم إعطاء ما ينبغي ، كالإحسان إلى العاصي ، وتعذيب المطيع ، وهذا قبيح عقلاً وطبعاً ، والظالم مذموم ، منفور عند الناس كافة ، ولا يليق بمقام جلاله وكماله .

تنزيه الله تعالى :

إنَّ الله منزَّه عن ارتكاب الظلم لعلل :

١ ـ إنَّ الذي يرتكب الظلم ، لا يخلو من ثلاث :

(أ) إما لم يطلع على قبحه فيظلم .

(ب) وإما أنه مجبور ، مضطر إلى ارتكابه .

(ج) وإما يعمله عبثاً، يلهو به، ويلعب .

وربنا أجل وأعلى من أن يجهل شيئاً ، وهو العليم ، والعلم ذاته ، أو يضطر إلى عمل قبيح ، وهو منزَّه عن الإضطرار ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾[1] ، ويحكم ما يريد ، أو أن يلهو ويلعب ، وهو القائل : **﴿وما خلقنا السَّمٰوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾**[2] ، **﴿والذين هم عن اللغو**

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الدخان ، الآية : ٣٨ .

معرضون﴾[1] .

فكيف يذم عملاً ، وهو يرتكبه ، سبحانه وتعالى ، عما يقول الظالمون ، علواً كبيراً .

٢ ـ ثم إنه تعالى ، كيف يتصف بهذه الصفة الرذيلة ، ويسمى بالظالم ، وله الأسماء الحسنى ، وهو جامع للصفات الكمالية ، منزَّه عن كل نقص وعيب : ﴿إنَّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾[2] .

٣ ـ ولو فرضنا أنَّ الله ، عزَّ وجل ، لا يفرق بين المطيع والعاصي ، أو يقابل العمل الصالح بالعذاب ، ويجازي السيئات بالجنة ، فحينئذٍ لا يثق أحد بما يأتي به الأنبياء والمرسلون ، ولا يطمئن بما أنزل في كتبه من الوعد والوعيد ، ولهم أن يرفضوا الأعمال الصالحة ، لعدم نفعها ، ويقدموا على المعاصي لعدم تأثيرها : ﴿إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾[3] .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٤٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٠ .

٣ - النُّبُوّة

النبوة أصل من أصول الدين، والإسلام، ومنكرها كافر نجس العين، فيجب على كل مكلف أن يعتقد بنبوة الأنبياء والمرسلين، وأنهم خلفاء الله في أرضه، وأمناؤه على وحيه، وحججه على عباده، ومبلغو أحكامه، وأنَّ أولهم أبونا آدم (ع)، وآخرهم نبينا الخاتم، عليه وآله السلام، قد ختم الله به النبوة والرسالة، وجعل شرعه مستمراً إلى يوم القيامة.

فمن ادعى، من بعده، ذلك المقام، ووصول الوحي إليه، فهو كافر مرتاب، أو ساحر كذاب، قد افترى على الله، واستحق سخطه، وخسر خسراناً مبيناً.

فهو، صلى الله عليه وآله وسلم، خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وأشرف الكائنات، وأكمل المخلوقين. أقامه الله في جميع عوالمه مقامه، فأدى عنه

أحكامه ، وبلغ حلاله وحرامه : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾[1] .

أطلعه على سرّه ، واسترعاه أمر خلقه ، وقرن طاعته بطاعته ، وجعله آمراً وناهياً عنه ، إذ أنّه لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار ، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار ، لا إله إلا هو العزيز الجبار .

أودعه في الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم يتطرق إليه نجس الشرك ، ولا خبث الجاهلية .

إخترعه من نور عظمته ، فولد طاهراً ، مطهراً ، معصوماً عن الخطايا والذنوب ، منزهاً عن النقائص والعيوب .

وهو ، صلى الله عليه وآله وسلم : محمد بن عبدالله بن عبد المطلب (شيبة الحمد) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، عليه وآله وعلى آبائه وأجداده السلام .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

موجبان في إرسال الأنبياء[1] :

الأول : كما سبق في مبحث التوحيد ، أنَّ العلة الغائية لخلق الخلق ، معرفة الله ، عز وجل ، كما قال : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2] ، لأنَّ العبادة

---

(١) عن أبي عبدالله (ع) ، أنه قال للزنديق الذي سأله : من أين أثبتَّ الرسل والأنبياء ؟ : «إنا لما أثبتنا أنَّ لنا خالقاً ، صانعاً ، متعالياً عنا ، وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً ، متعالياً ، لم يجز أنْ يشاهده خلقه ، ويلامسوه ، ويباشرهم ويباشروه ، ويحاجهم ويحاجّوه ، ثبت أنَّ له سفراء في خلقه ، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، والمعبرون عنه ، عز وجل ، وهم الأنبياء ، وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبون بالحكمة ، مبعوثون بها ، غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم ، مؤيدون من عند الحكيم العليم بالحكمة . ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان ، وما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين ، لكي لا تخلو أرض الله من حجة ، يكون معه علم على صدق مقالته ، وجواز عدالته» (علل الشرائع : ص ١٢٠ ـ ح ٣ ـ الأصول من الكافي : ١٦٨/١) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

فرع المعرفة ، ولا بد للمعرفة ، وكيفية العبادة من التعلم ، والتعليم .

والمعلم هنا : هو الخالق المعبود ، والمتعلم : هو العابد المخلوق ، ولا يمكن لعامة الخلائق الأخذ منه سبحانه ، لنقصهم ، وضعف قابلياتهم ، وعدم استعدادهم .

فيختار الحكيم من باب اللطف ، من بين العباد ، الموجود الكامل ، ويشرّفه برتبة النبوة والرسالة ، ويوحي إليه ما يشاء من التعاليم ، ويجعله واسطة بينه وبينهم ، فيعلمهم طريق المعرفة والعبادة : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾[1] .

الثاني : سوف نبين في مبحث المعاد ، بأنَّ الله جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، وهو يوم القيامة ، ليدخل السّعداء الجنة ، والأشقياء النار ، ولا يكون ذلك إلا بعد إتمام الحجة ، وإرسال الرسل : ﴿**ليَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيّنة ويحيىٰ من حيَّ عن بيّنة وإنّ الله لسميع عليم**﴾[2] ،

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٤٢ .

وحتى لا يقول الشقي : يا رب ! لماذا حرمتني من الثواب ، وأوجبت عليّ العقاب ؟

فأرسل ، تبارك وتعالى ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[1] ، فقام كل نبي في أُمته ، ونهض في تعليمها ، وتربيتها ، فعرَّفها سبيل الرشاد ، وهداها إلى طريق النجاة ﴿**فأمَّا مَنْ طغى * وآثر الحياة الدّنيا * فإنَّ الجحيم هي المأوى * وأمَّا مَنْ خافَ مقامَ ربّه ونهى النفس عن الهَوَى * فإنَّ الجنة هي المأوى**﴾[2] .

النبي والرسول :

النبي : هو الذي يوحى إليه ، سواء أُمر بإيصال ما يوحى إليه ، إلى من سواه ، أم لا ، بل هو نبي على نفسه .

والرسول : هو الذي أُوحي إليه ، وأُمر بإيصال ما أُوحي إليه من الأحكام والأوامر ، إلى أُمَّته ، ويخبر عن الله بغير واسطة بشر .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة النازعات ، الآيات : ٣٧ ـ ٤١ .

وقيل : إنَّ النبيّ يسمع صوت الملك الحامل للوحي ، ويراه في المنام ، ولا يرى شخصه في اليقظة .

والرسول : يرى شخص الملك ، وأمين الوحي في اليقظة والمنام ، ويسمع صوته .

فكل رسول نبي ، ولا عكس ، ونبينا ، كما قدمنا ، نبي ورسول ﴿**محمد . . . رسول الله وخاتم النبيين**﴾[1] .

والأنبياء كما في الحديث : مائة ألف ، وأربع وعشرون ألفاً ، والرسل منهم : ثلاثمئة وثلاثة عشر رسولاً .

ستة من المرسلين أرباب الشرائع :

وهم آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلى الله عليه وآله ، وعليهم السلام .

ولكل من هؤلاء الستة كتاب وشرع ، من قبل الله ، عزَّ وجل : فشرع آدم (ع) ، كان مستمراً إلى زمان نوح (ع) ، وشرع نوح إلى زمان إبراهيم (ع) ، وشريعة إبراهيم إلى عصر موسى (ع) ، وشريعة موسى إلى عصر عيسى

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

(ع) ، وشريعة عيسى إلى زمان محمد (ص) ، وشرعه مستمر إلى يوم القيامة ، وكل متأخر منهم ، ناسخ لشريعة من تقدم ، وسائر الأنبياء كانوا يبلغون أحكام أصحاب الشرع الذين سبقوهم .

أولو العزم[1] :

عزم : بمعنى قاوم واستقام ، كما قال العزيز ، جل

---

(١) ● قال ابن منظور الأفريقي (ت ٣١١ هـ) : «. . . وأولو العزم من الرسل : الذين عزموا على أمر الله ، فيما عهد إليهم . وجاء في التفسير : إنَّ أولي العزم : نوح ، وإبراهيم وموسى ، عليهم السلام ، ومحمد (ص) من أولي العزم أيضاً» (لسان العرب : مادة عزم) .

● وقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : «. . . وأولو العزم من الرسل ، عليهم السلام : الذين قطعوا العلائق بينهم وبين من لم يؤمن من الذين بُعثوا إليهم ، كنوح ، عليه السلام ، إذ قال : ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ ، وكمحمد ، صلى الله عليه وآله : ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ ، ثم قال : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ . (معجم مقاييس اللغة : ٤/٣٠٨) .

● وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) : «عزم على الأمر : =

= أراد فعله ، وقطع عليه ، أو جدَّ في الأمر . و﴿أُولوا العزم من الرسل﴾ (الأحقاف : ٣٥) : الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وموسى ، وداود ، وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام» (القاموس المحيط : مادة عزم) .

● **وقال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)** : «العزم والعزيمة : عقد القلب على إمضاء الأمر . . . ﴿**ولم نجد له عزماً**﴾ : أي محافظة على ما أُمر به ، وعزيمة على القيام» (المفردات في غريب القرآن : ص ٣٣٤) .

● **وقال فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)** : «عزم ، عزمت ، عزماً : إذا أردت فعله ، وقطعت عليه . وعن الباقر (ع) قال : عهد الله إليه في محمد (ص) ، والأئمة (ع) ، من بعده ، فترك ، ولم يكن له عزم أنهم هكذا» . والعزم والعزمة : ما عقد عليه قلبك ، أنك فاعله . ومنه قوله تعالى : ﴿**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**﴾ (الأحقاف : ٣٥) ، وهم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) ، فإنَّ كلاً منهم أتى بعزم ، وشريعة ناسخة لشريعة من تقدمه ، وقيل هم ستة : نوح صبر على أذى قومه . وإبراهيم صبر على النار . وإسحاق صبر على الذبح . ويعقوب صبر على فقد الولد ، وذهاب البصر . =

وعلا : ﴿فاستقم كما أُمرت﴾[1] ، ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[2] .

= ويوسف صبر في البئر ، والسجن . وأيوب صبر على الضرّ . وقيل سمّوا أولو العزم لأنه عهد إليهم في محمد (ص) ، والأوصياء من بعده ، والقائم وسيرته ، فأجمع عزمهم على أنَّ ذلك كذلك ، والإقرار به . وروي لأنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وجنها وإنسها» (مجمع البحرين : ١١٣/٦) .

● **وقال الحسين بن محمد الدامغاني الحنفي** : «عزم : على أربعة وجوه : القصد ، والصبر ، والحزم ، والتحقيق ، فوجه منها : العزم والقصد كما في قوله تعالى : ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ والثاني : الصبر كما في قوله تعالى : ﴿ولم نجد له عزماً﴾ يعني صبراً ، كقوله تعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ ، وهم خمسة من الأنبياء : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) . والثالث : الحزم كما في قوله تعالى : ﴿إنَّ ذلك من عزم الأمور﴾ يعني من حزم الأمور وحقائقها . والرابع : التحقيق كما في قوله تعالى : ﴿وإنْ عزموا الطلاق﴾ يعني وإن حققوا الطلاق» (قاموس القرآن : ص ٣٢٥) .

(١) سورة هود ، الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ٣٥ .

أولـو العزم : خمسة من أصحاب الشرائع ، وأما آدم فقد قال الله في حقـه : ﴿ولم نجد لـه عزمـاً﴾[1] ، حيث أكل من الشجرة المنهيَّة .

النبوة الخاصة والعامة :

إنَّ بعض الأنبيـاء كـانت نبـوتـه على نفسـه فقط ، وبعضهم على أهل بيته ، وبعضهم على أسرته وعشيـرته ، وبعضهم على قريته وبلاده ، إلا نوح (ع) ، فكـانت نبوتـه عامة ، وكـان نبياً على النـاس كافـة ، كما أنَّ طـوفانـه عم الديار والبلاد .

وأما نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فنبي على مـا سـوى الله ، ومن في السمـاوات والأرض ، من الجـن ، والإنس ، وغيرهما ، يؤيده قولـه تعالى : ﴿قـل أوحي إليَّ أنَّه استمع نفر من الجـن فقالـوا إنَّـا سمعنـا قرآنـاً عجباً يهـدي إلى الـرشـد فآمنَّا به﴾[2] ، ﴿تبـارك الـذي نـزل الفرقان على عبـده ليكـون للعالمين نـذيراً﴾[3] ، ويمكن

---

(١) سورة طه ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة الجن ، الآيتان : ١ ، و٢ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

الإستدلال ببعض معاجزه على نبوته العامة ، وشريعته المستمرة .

إنَّ معاجز الأنبياء كلها ، كانت محدودة بحدود الزمان والمكان ، مثل آيات موسى (ع) ، التسعة : عصاه ، وسائر معاجزه[1] ، وإحياء الموتى لعيسى (ع) ، وخلقه

---

(١) قال الله تعالى : ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ (الإسراء : ١٠١) . قال المفسرون هي : العصا ، واليد البيضاء ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والطمس ، وفلق البحر . وقال تعالى : ﴿**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات**﴾ (الأعراف : ١٣٠) : قال قتادة أما السنون ، «فكانت بباديتهم ومواشيهم ، وأما نقص الثمرات فكانت في أمصارهم . وقال تعالى : ﴿**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات**﴾ (الأعراف : ١٣٣) . واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ، فقيل : الماء أرسل عليهم من السماء ، وقيل : طغى الماء فوق حروثهم فأهلكها . وقيل : هو الغرق . وقيل : هو الموت الذريع الجارف ، وقيل : هو الطاعون بلغة أهل اليمن . وقيل : هو الجدري فهم أول من عذب به فبقي في الأرض (عرائس المجالس : ص ١٦٨) .

الخفاش ، وإبرائه الأكمه والأبرص ، وإخباره بما يأكل الناس ، وما يدَّخرون في بيوتهم . ومعجزة إبراهيم (ع) ، قال تعالى : ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[1] ، وحتى طوفان نوح (ع) ، كان محدوداً بزمانه على وجه الأرض .

وأما نبينا ، صلى الله عليه وآله ، فقد كانت له معاجز وكرامات ، لا تُعدّ ، ولا تُحصى : من تسبيح الحصى في كفه ، وإنطاق الحيوانات وشهادتها بنبوّته ، وإطاعة الأشجار والنباتات له ، وعدم ظهور ظل له في الشمس ، وأعظمها ، أخلاقه الجميلة العظيمة الملكوتية ، التي جذبت نفوس الأشراف ، وسحرت قلوب المؤمنين ، وقال في حقه إله العالمين : ﴿وإنكَ لعلى خُلُق عظيم﴾[2] .

ولكن من جملتها غير محدودة بزمان ، ولا مكان ، بل عامة ومستمرة : منها شق القمر ، فإنها آية سماوية ، ومنها : المعراج ، فإنها عمت العوالم العلوية والسفلية ، ومنها قرآنه ، فإنه آية مستمرة ، باقية ، خالدة ، ما دامت السماوات والأرض ، نعمة غير مجذوذة .

فنفوذ معجزاته في عامة الأزمنة والأمكنة ، إلى أعماق

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

عالم الوجود ، دليل على عمومية نبوته وولايته .

وفي الحقيقة إذا لاحظنا الأحاديث النبوية ، والآثار العلوية ، والأخبار الإمامية ، في بدء تكوينه ، صلى الله عليه وآله ، وكيفية خلقته ، وتقلبه في العوالم الإمكانية ، علمنا أنَّ نبوته لم تنحصر على زمانه ، وبعد زمانه ، وعلى (الحجاز) والمناطق العربية ، وغيرها من الأقاليم ، بل إنه رسول الله على ما سوى الله ، من دون استثناء موجود ، من ابتداء الوجود إلى يوم الخلود .

وهكذا ولايته ، وولاية أخيه ، وابن عمه ، ووصيه ، وخليفته ، الذي هو نفسه ، ونوره ، وولاية أهل بيته المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، عامة ، مطلقة ، نافذة ، محيطة ، لا يشذ عنها شيء ، لا في الأرض ، ولا في السماء ، كما قال أمير المؤمنين (ع) في خطبته ، في **(عيد الغدير)** :

اتفق الغدير والجمعة ، فصعد ، عليه السلام ، المنبر ، على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم ، فحمد الله حمداً لم يُسمع بمثله ، وأثنى عليه ثناء لم يتوجه بمثله غيره ، فكان مما حفظ من ذلك :

خطبة أمير المؤمنين (ع) في عيد الغدير

«الحمد لله الذي جعل الحمد من غير حاجة منه إلى حامديه ، طريقاً من طرق الإعتراف بربوبيته (بلاهوتيته - خ ل) ، وسبباً إلى المزيد من رحمته ، ومحجة للطالب من فضله .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، استخلصه في القدم ، على سائر الأمم ، على علم منه (انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس - خ ل) ، وانتجبه من النبيين ، آمراً وناهياً عنه ، أقامه في الأداء مقامه ، إذ كان لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه خواطر الأفكار ، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار ، لا إله إلا هو الملك الجبار .

قرن الإعتراف بنبوته بالإعتراف بألوهيته ، واختصه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريَّته ، فهو أهل لذلك ، بخاصته وخلَّته ، إذ لا يختص من يشوبه التغيير ، ولا يخالل من يلحقه التظنين .

وأمرنا بالصلاة عليه ، مزيداً في تكرمته ، وطريقاً للداعي إلى إجابته ، فصلَّى الله عليه وكرَّم ، وشرَّف وعظم ، مزيداً لا يلحقه التنفيذ ، ولا ينقطع على التأبيد .

وإنَّ الله اختص لنفسه من بعد نبيه (ص) من بريَّته ، خاصة ، علاهم بتعليته ، وسما بهم إلى رتبته ، وجعلهم الدعاة بالحق إليه ، والأدلاء بالإرشاد عليه ، لقرن قرن ، وزمن زمن ، أنشأهم في القدم قبل كل مذروء ومبروء ، أنواراً أنطقها بتحميده ، وألهمها شكره وتمجيده ، وجعلها حججاً على كل معترف له بمملكة الربوبية ، وسلطان العبودية ، (واستنطق بها الخرسات ، بأنواع اللغات ، نجوعاً له بأنه فاطر الأرض والسماوات ـ خ ل) وأشهدهم خلقه ، وولاهم ما شاء من أمره ، وجعلهم تراجم مشيئته ، وألسن إرادته ، عبيداً لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم ، وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون ، يحكمون بأحكامه ، ويستنون بسننه ، ويعتمدون حدوده ، ويؤدون فروضه .

ولم يدع الخلق في بهماء صمّاء ، ولا عمياء بكماء ، بل جعل لهم عقولاً مازجت شواهدهم ، وتفرقت في هياكلهم ، وحققها في نفوسهم ، واستعبد لها حواسهم ،

فقررها بين أسماع ونواظر ، وأفكار وخواطر ، ألزمهم بها حجته ، وأراهم بها محجته ، وأنطقهم عما شهدت به بألسن ذَرِبَة ،بما قام فيها من قدرته» .

ومنها : «ثم إنَّ الله ، عزَّ وجل ، جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين ، لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه ، ليكمل عندكم جميل صنعه ، ويقفكم على طريق رشده ، ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته ، ويسلككم منهاج قصده ، ويوفر عليكم هنيَّ رفده .

فجعل الجمعة مجمعاً ندب إليه ، لتطهير ما كان قبله ، وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله ، وذكرى للمؤمنين ، وتبيان خشية المتقين ، ووهب من ثواب الأعمال فيه ، أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيام قبله ، وجعله لا يتم إلا بالائتمار لما أمر به ، والإنتهاء عما نهى عنه ، والنجوع بطاعته فيما حث عليه ، وندب إليه ، فلا يقبل توحيده إلا بالإعتراف لنبيه (ص) بنبوّته ، ولا يقبل ديناً إلا بولاية من أمر بولايته ، ولا تنتظم أسباب طاعته ، إلا بالتمسك بعصمه ، وعصم أهل ولايته .

وأنزل على نبيه في يوم الدَّوح ، ما بيَّن به عن إرادته

في خلصائه ، وذوي اجتبائه ، وأمره بالبلاغ ، وترْكِ الحفل بأهل الزيغ والنفاق ، وضمن له عصمته منهم ، وكشف من خبايا أهل الريب ، وضمائر أهل الارتداد ، ما رمز فيه ، فعقله المؤمن والمنافق ، وثبت على الحق ثابت ، وازدادت جهالة المنافق ، وحمية المارق ، ووقع العضّ على النَّواجذ ، والغمز على السواعد ، ونطق ناطق ، ونعق ناعق ، واستمر على مارقيته مارق ، ووقع الإذعان من طائفة باللسان ، دون حقائق الإيمان ، ومن طائفة باللسان وصدق الإيمان .

وأكمل الله دينه ، وأقر عين نبيه (ص) ، والمؤمنين والتابعين ، وكان ما شهده بعضكم ، وبلغ بعضكم ، وتمَّت كلمة الله الحسنى على الصابرين ، ودمَّر الله ما صنع فرعون ، وقارون ، وهامان ، وجنودهم ، وما كانوا يعرشون .

وبقيت حثالة من الضَّلال ، لا يألون الناس خبالاً ، يقصدهم الله في ديارهم ، ويمحو الله آثارهم ، ويبيد معالمهم ، ويعقبهم عن قريب الحسرات ، ويلحقهم بمن بسط أكفهم ، ومدَّ أعناقهم ، ومكنهم من دين الله حتى بدَّلوه ، ومن حكمه حتى غيَّروه ، وسيأتي نصر الله على عدوه لحينه ، والله لطيف خبير ، وفي دون ما سمعتم كفاية وبلاغ .

فتـأملوا ، رحمكم الله ، ما نـدبكم الله إليـه ، وحثكم عليـه ، واقصدوا شَـرْعَـه ، واسلكـوا نهجـه ، ولا تتبعـوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله .

إنَّ هذا يوم عظيم الشأن ، فيـه وقع الفـرج ، ورقعت الـدرج ، ووضحت الحجـج ، وهـو يـوم الإيضـاح ، والإفصاح عن المقام الصراح ، ويوم كمال الدين ، ويـوم العهـد المعهود ، ويـوم الشاهـد والمشهود ، ويـوم تبيـان العقود ، عن النفاق والجحـود ، ويوم البيـان ، عن حقائق الإيمان ، ويوم دحر الشيطان .

هذا يوم الفصل الذي كنتم توعدون ، هـذا يوم المـلأ الأعلى أنتم عنه معرضون ، هذا يوم الإرشاد ، ويوم محنة العباد ، ويوم الدليل على الروَّاد .

هذا يوم أبدى خفايـا الصدور ، ومضمـرات الأمور .
هذا يوم النصوص ، على أهل الخصوص .
(فلم يـزل ، عليه السـلام ، يقول : هـذا يوم ، هـذا يوم ، حتى قال عليه السلام) :

«فراقبوا الله ، عـز وجل ، واتَّقـوه ، واحذروا المكـر ولا تخـادعوه ، وتقـربـوا إلى الله بتـوحيـده ، وطـاعـة من أمـركم أن تطيعـوه ، ولا تضلوا عن سبل الـرشـاد بـاتبـاع أولئك الذين ضلّوا وأضلّوا .

قال ، عز من قائل ، في طائفة ذكرهم بالذم في كتابه : ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾ .

وقال تعالى : ﴿وإذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنَّا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ .

أفتدرون الإستكبار ما هو ؟

هو ترك الطاعة لمن أمروا بطاعته ، والترفع على من ندبوا إلى متابعته ، والقرآن ينطق من هذا عن كثير ، إنْ تدبَّره متدبّر ، زجره ووعظه .

واعلموا أيها المؤمنون أنَّ الله ، عز وجل ، قال : ﴿إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ .

أتدرون ما سبيل الله ، ومن سبيله ؟ وما صراط الله ، ومن طريقه ؟

أنا صراط الله الذي من لم يسلكه هوى ، وأنا سبيله الذي نصبني بعد نبيه (ص) ، أنا قسيم الجنة والنار ، وأنا حجة الله على الفجار والأبرار .

فانتبهوا من رقدة الغفلة ، وبادروا بالعمل قبل حلول

الأجل ، وسابقوا إلى مغفرة من ربكم ، قبل أن يُضرب بسور باطنه الرحمة ، وظاهره العذاب ، فتنادوا فلا يسمع نداؤكم ، وتضجوا فلا يحفل بضجيجكم ، وقبل أنْ تستغيثوا فلا تغاثوا .

فسارعوا إلى الطاعات ، قبل فوت الأوقات ، فكأنْ قد جاءكم هادم اللذات ، فلا مناص نجاة ، ولا محيص تخليص .

عودوا ، رحمكم الله ، بعد انقضاء مجمعكم ، بالتوسعة على عيالكم ، وبالبر بأخوانكم ، والشكر لله على ما منحكم ، واجمعوا يجمع الله شملكم ، وتبارّوا يصل الله أُلْفتكم ، وتهادوا نعمة الله كما هناكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله ، أو بعده ، إلا في مثله .

والبرّ فيه يثمر المال ، ويزيد في العمر ، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه ، وهبوا لأخوانكم وعيالكم من فضله بالجهد من جودكم ، وبما تناله القدرة من استطاعتكم ، وأظهروا البشر فيما بينكم ، والسرور في ملاقاتكم ، والحمد لله على ما منحكم ، وعودوا بالمزيد من الخير على أهل التأميل لكم ، وساووا ضعفاءكم في مآكلكم ، وما تناله القدرة من استطاعتكم ، وعلى حسب

إمكانكم ، فالدرهم فيه بمائة ألف ، والمزيد من الله ، وصوم هذا اليوم مما ندب الله إليه ، وجعل الجزاء العظيم كفاية عنه ، ومن أسعف أخاه مبتدئاً ، وبرّه راغباً ، فله كأجر من صام هذا اليوم ، وقام ليلته ، ومن فطّر مؤمناً في ليلته فكأنما فطّر فئاماً وفئاما» .

إلى أن قال ، عليه السلام :

«فإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم ، وتهانوا النعمة في هذا اليوم ، وليبلغ الحاضر الغائب ، والشاهد البائن ، وليعد الغني على الفقير ، والقوي على الضعيف ، أمرني رسول الله ، صلى الله عليه وآله بذلك»[1] .

فهذه الجملة الواردة في الخطبة : «أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه» ، التي هي في شأن الرسول (ص) ، وهذه الجملة : «وجعلها الحجج على كل معترف له بسلطان الربوبية» ، التي هي في حق الأئمة المعصومين (ع) ، صريحتان في المقصود ، وأنْ ليس لنبوته وولايتهم حدّ محدود ، ولا زمن معدود ، تشريعاً وتكويناً .

---

(١) مستدرك نهج البلاغة : ص ٧٩ وما بعدها ، ولم نجد الخطبة المذكورة إلا في المصدر الذي أشرنا إليه .

إثبات نبوته :

النبوة ليست بالادعاء ، ولا باختيار الناس ، ولا بالرياضات النفسانية وغيرها ، بل باختيار من الله ، تبارك وتعالى : ﴿**أَلله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[1] .

ولكن لا بدَّ للنبي والرسول من القابلية ، والاستعداد ، واللياقة الذاتية للسفارة الإلهية ، وأخذ الوحي ، وإيصال أحكام الله ، والصبر والتحمل لأعباء النبوة والرسالة ، والمقاومة العظيمة تجاه الأُمم الوحشية الجاهلة : ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[2] .

لقد دلنا التاريخ ، وأخبرنا بوجود عباقرة ، ونوابغ ، قاموا وادَّعوا هذا المنصب العظيم ، وزعموا أنهم مرسلون من قبل الله كأمثال مسيلمة وسجاح[3] ، وأتوا بسور

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٤ .

(٣) قال الشريشي (ت ٦١٩ هـ) : «ذكر وثيمة بن موسى أنَّ مسيلمة تسمّى بالرحمن قبل أن يولد عبدالله ، أبو رسول الله (ص) ، ولما بُعث رسول الله (ص) ، كانت قريش تقول :

إنما يعلم محمداً رجل يقال له الرحمن ، فنزلت : ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ ، وكانت بنو تميم قد تخاذلت في أمر الردَّة ، بعد موت النبي (ص) ، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً ، فبينما هم على ذلك ، إذ فاجأتهم سجاح بنت الحرث ، مقبلة من الجزيرة ، تقود بني ربيعة ، فأتاهم أمر كان أعظم مما هم فيه من الاختلاف ، وكانت سجاح تميمية ، وبنو أبيها في تغلب ، وادعت النبوة بعد وفاة النبي (ص) ، في الجزيرة ، فاجتمعت عليها بنو تميم ، ورؤساء تغلب ، فادعت أنها أنزلت عليها : (يا أيها المؤمنون ! والمتقون ! لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يبغون) . فاجتمعت تميم كلها تنصرها ، فكان فيهم الأحنف ، وحارثة بن بدر ، ووجوه بني تميم ، وكان مؤدبها شبيب بن ربعي الرياحي ، فقالت : «أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم اغدوا على الرباب ، فليس من دونهم حجاب !» فصمدت إليهم ، فقتلت فيهم قتلاً كثيراً ، ثم قالت لأجنادها : أقصدوا اليمامة . فقيل لها : إنَّ شوكة أهل اليمامة قوية ، شديدة ، وقد غلظ أمر مسيلمة ! فقالت : يا معاشر تميم ! أقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كل هامة ، واضرموا ناراً ملهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة ، وإنَّ الله تعالى ، لم يجعل هذا الأمر في ربيعة» ـ تعني نبوة مسيلمة ـ «وإنما جعلها =

طويل !» ، ولكن ما مرت عليهم وعلى داعيتهم أيام ، إلا

= في مضر ، واقصدوا هذا الجمع ، فإذا قصدتموه ، عكرتم على قريش» . فسارت في قومها وهم عدد لا يحصى ، وبلغ مسيلمة الخبر ، فضاق به ذرعاً ، وتحصن في حجر حصن اليمامة ، وأحاطت به جيوشها ، فأرسل إلى وجوه قومه ، وقال : ما ترون ؟ قالوا : نسلم هذا الأمر لها ، فإنْ لم تفعل ، فهو البوار ! فقال لهم ، بدهائه : سننظر ! . ثم بعث إليها ، وقال : إنَّ الله قد أنزل عليك وحياً ، وعليّ ، فهلمي نجتمع فنتدارس ما أنزل الله ، فمن عرف الحق تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي وقومك . فأنعمت له ، فأمر بضرب قبة من أدم ، فضربت ، وأمر بالعود المندلي ، فبخرت به ، وقال : «أكثروا من الطيب ، فإن المرأة إذا شمت رائحته ، ذكرت الباء ، وأتته إلى القبة ، وقالت له : هات ما أنزل عليك ربك ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى ، من بين ذكر وأنثى ، وأمات وأحيا ، إلى ربكم يكون المنتهى) . قالت : وما ذاك ؟ قال : (ألم تر أنَّ الله خلقنا أفواجاً ، وجعل لنا النساء أزواجاً . . .) (شرح مقامات الحريري : ٢/١٦٣) .

ومن بعض آياته المزعومة ، قوله : (والزارعات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات ذروا ، والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالآكلات أكلاً) . ومنه أيضاً : (إنَّ الذين =

وفشلوا ، وافتضحوا ، وهلكوا : ﴿فقُطع دابرُ القوم الذين ظَلَمُوا والحمد لله ربّ العالمين﴾[1] .

نعم إنَّ الله قد فرض على نفسه أنْ يحقَّ الحقّ ، ويبطل الباطل ، وينصر رسله ، ويهلك الكاذبين ، لطفاً منه على عباده ، وحفظاً على ناموس توحيده : ﴿إنَّا لننصرُ رسلُنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد﴾[2] .

هذا وقد بعث الله أنبياءه ورسله ، مبشرين ومنذرين ،

= يغسلون ثيابهم ، ولا يجدون ما يلبسون ، أولئك هم المفلسون) (زهر الربيع : ص ٤٤ ـ الكشكول للعاملي : ٣١١/٢ ـ ابن هشام : ٧٤/٣ ـ الروض الأنف : ٢٤٠/٢ ـ تاريخ ابن الأثير : ١٣٧/٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري : ص ٩٤ ـ شذرات الذهب : ٢٣/١ ـ تاريخ الخميس : ١٥٧/٢ ـ الشريشي : ١٦٣/٢ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية بروكلمن : ١٠٠/١ ـ نسب قريش : ص ٣٢١ ـ تاريخ ابن العبري : ص ١٦٢ ـ الطبري : ٢٣٦/٣ ـ تاريخ المسعودي : ٤٥/٣) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٥ .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٥١ .

فحفظهم بحفظه ، وأعطاهم من فضله ، وشجعهم بوحيه ، ونصرهم بملائكته ، حتى سجلوا توحيده ، ونشروا أحكامه ، وبلغوا عنه ما حمَّلهم ، وأصبحوا على أعدائه ظاهرين .

وعليك بمطالعة قصة إبراهيم (ع) ونمرود ، وموسى (ع) وفرعون ، وعيسى (ع) واليهود : ﴿**كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إنَّ الله قويٌّ عزيز**﴾[1] .

وأما نبينا ، صلى الله عليه وآله ، فالأمر في حقه أشهر من الشمس ، وأبين من الأمس ، قد مضى من نبوته الظاهرة ، ورسالته البشرية ، أربعة عشر قرناً (ألف وأربعمئة سنة) هلالية ، ولم يزدد دينه إلا تقدماً ، وشريعته إلا توسعاً ، وأحكامه إلا تنوراً ، وقد نفذت الإسلامية في أعماق الأقاليم السبع ، ورحب بها كل حر مستبصر ، من الأبيض والأسود ، واعترف فلاسفة الغرب[2] بحقائقها ،

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢١ .

(٢) جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م) : فيلسوف وأديب ومؤلف أوروبي ، أقام في فرنسا ، وكسب شهرة واسعة عندما حصل على الجائزة الأولى من جامعة (ديجون) . ومن أهم مؤلفاته (العقد الاجتماعي) . استوحت الثورة الفرنسية من أفكاره الشيء الكثير ، قال هذا الفيلسوف : «في أوائل القرن =

وإنها ملائمة لجميع الأزمان والعصور ، حتى لعصرنا

= الثامن عشر للميلاد ، من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ، ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ، ولو أنه سمع محمداً يمليه على الناس ، بتلك اللغة الفصحى ، والتفت إلى أنه كلما بدت أحكامه ، أيدها بقوة البيان ، لخرَّ ساجداً على الأرض ، منادياً : خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار» .

● توماس كارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١ م) : كاتب ، ومؤرخ ، وفيلسوف اسكتلندي ، درس اللاهوت ، وتحول إلى دراسة القانون . له مؤلف ضخم عن الثورة الفرنسية . نشر آراءه في كتاب (الأبطال) ، قال هذا الفيلسوف : «لقد أعطى العرب القرآن من التبجيل ، ما لم يعطه أتقى النصارى لإنجيلهم ، وهو بذلك أهل ، لأنه ما برح في كل زمان ومكان ، قاعدة التشريع ، والعمل ، والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها» .

● أرنولد توينبي (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦ م) : مؤرخ وفيلسوف بريطاني ، ولعله أكبر المؤرخين العالميين ، ركز على أهمية دور البطل في التاريخ . أدان ظاهرة الأمبريالية . كرمه اتحاد المؤرخين العرب . له دراسات ومحاضرات كثيرة . قال هذا المؤرخ الكبير : «لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل أن للعالم أجمع نصيباً فيه ، ولما لم يكن هناك =

الذهبي ، عصر النور ، وأقروا بأنَّ النبي الأمي ، المكي ، المدني ، سيد الأنبياء والمرسلين ، على الرغم من قساوستهم المتعصبين ، وملوكهم الظالمين ، الذين قاموا من صدر الإسلام إلى عصور الحروب الصليبية حتى زماننا هذا ، ونهضوا ، وهمّوا ، وهجموا ، وجدوا واجتهدوا في

= غير إله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد ، يدعى إليه الناس كافة» .

● لوريا فيشيا غاليري : أستاذة اللغة العربية ، وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة (نابولي) بـ (إيطالية) ، قالت : «إنَّ الإسلام لم يكن قط عقبة في سبيل الكمال الخلقي ، بل لقد وقف قبل أي دين آخر ، إذ كان يملك في ذات نفسه ، قوة فعالة موجهة نحو الأفعال الحميدة ، إلى تهذيب الناس ، والإرتفاع بهم نحو الله» .

● ڤاسيلي بارتولد (ت ١٩٢٧ م) : عالم روسي كبير تحدث في كتابه (حياة محمد) عن الشرق المسلم والغرب المسيحي ، واعترف للشرق بمزاياه ، وللمسلمين بالبر والإحسان ، وبما أعطوا حضارة العالم كله . (راجع حياة محمد) . (تاريخ الحضارة الإسلامية) . (موجز علوم القرآن) . (مقدمة كتاب جامع الأخبار) .

إطفاء نور الإسلام ولكن : ﴿ويأبى الله إلا أنْ يُتمَّ نورَهُ ولو كره الكافرون﴾[1] .

هذا كتابه الكريم ، وقرآنه العظيم ، قد حمل على حملة العهد الجديد والقديم ، وعلى بلادهم المسورة بسور الصليبية الضخم ، ففتح أبوابها ، وهدم أسوارها ، وهدَّ أركانها ، وحيَّر ألبابها ، وسخر أرواحها ، فصعد أعلى قصورها، وأرفع دورها، تالياً عليهم آيات نفسه ، وناشراً أحكام ربه ، ومنادياً بأعلى صوته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾[2] ، صدق الله العلي العظيم .

هذا وكان لرسول الله ، صلى الله عليه وآله ، أعداء داخليون ، وأحزاب شيطانية ، كافرون ومنافقون ، سراً وعلناً ، في عصره ، وفي سائر العصور ، حتى من الأمراء والحكام الذين نسبوا أنفسهم إليه ، وجلسوا محلَّه ، زعماً منهم أنهم خلفاؤه ، دون أهل بيته المعصومين ، كافحوا نفسه في زمانه ، وخالفوا دينه وقرآنه وأوصياءَه من بعده ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

بشتى الوسائل والأسباب ، عمداً وجهلاً ، فمن بين هؤلاء وهؤلاء ، ظهر (ص) ناجحاً ومهيمناً ، وأصبح دينه ظاهراً ومشعشعاً : ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهُدى ودين الحق ليظهرَهُ على الدّين كلّه ولو كرهَ المشركون**﴾[1] .

فلو كان ، صلى الله عليه وآله ، كاذباً ـ نعوذ بالله ـ لكان على الله أنْ يُبطل نبوَّته ، ويُظهر كذبه ، إما بإرسال الرسل ، أو بسبب من الأسباب ، كما أبطل نبوَّة الذين ادَّعوا من قبله ، ومن بعده ، وأظهر كذبهم ، وفضحهم ، وأهلكهم ، وأزال مساكنهم ، والحمد لله رب العالمين .

المعجزة[2] :

هي التي يعجز الناس عن إتيانها ، وهي آية الله مع الأنبياء والمرسلين ، وبرهان صدقهم ، وسلامة ارتباطهم

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٣ .

(٢) الإعجاز لغة : هو الفوت ، يقال : أعجزني الأمر أي فاتني . والإعجاز اصطلاحاً : أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله . أو أنْ يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ، ويعجز عنه غيره ، شاهداً على صدق دعواه . أو هي أمر خارق للعادة ، =

بـالملكوت الأعلى ، وأنهم مـرسلون من قبل مليـك مقتدر الذي لا يعجز عن شيء ، ولا يعجـزه شيء : ﴿**وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون**﴾[1] .

= خارج عن حدود الأسباب المعروفة ، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها ، شاهداً على صدقه .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

٤ - الإمامة

وهي من أُصول مذهبنا (الشيعة الإمامية) ، فيجب على كل مؤمن آمن بالله تعالى ، وصدق رسول الله (ص) ، أن يعتقد بإمامة الأئمة الإثني عشر ، عليهم السلام ، وولايتهم ، وأنهم خلفاء الله ، وأوصياء رسوله ، وأولهم (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ، خليفته بلا فصل ، وآخرهم بقية الله في أرضه (الحجة المنتظر المهدي) ، عجل الله فرجه ، وأرواحنا فداه .

---

(١) قال الإمام محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) : «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة ، وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأنَّ الأُمة واجب عليها الإنقياد لإمام عادل ، يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله (ص) ، وهي رياسة عامة في امور الدين والدنيا ، بحيث يجب اتباعه على كافة الأُمة . (الفصل : ٤/٨٧) .

في إثبات الإمامة :

كما أن الحكيم ، تبارك وتعالى ، فرض على نفسه إرسال الأنبياء والمرسلين ، مبشرين ومنذرين ، لهداية عباده وخلقه ، وإخراجهم من ظلمات الجهل والحيرة ، إلى نور العلم والتوحيد ، والطريقة المستقيمة ، وإتماماً للحجة ، كذلك فرض على نفسه حفظ كتابه وشريعته بعد أنبيائه ورسله ، بواسطة أوليائهم وخلفائهم ، وقال : **﴿إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[1] .

فكما عيَّن لأرباب الشرائع من الأنبياء السابقين ، أوصياء قائدين للأمم من بعدهم ، هادين مهديين ، فكذلك عيَّن خلفاء لخاتم النبيين ، أمناء على دينه وشريعته ، حفاظاً لكتابه ، وهم الراسخون في العلم ، يعلمون تأويل آياته ، ويوضحون المتشابهات بمحكماته ، ويحلون مشاكل الأُمة ، ويداوون علل الرعية .

والإمام نقطة دائرة الحياة ، ومجمع الشتات ، وقلب المجتمع ، وعقل المحيط والمرجع ، بوجوده تمام الدعوة النبوية ، وكمال النعمة الإلهية ، كما جاء في تفسير الآية

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

الشـريفـة : ﴿اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1] بالخلافة والإمامة .

ولنا في إثبات الإمامة أدلة وبراهين تدوينية وتكـوينية ، عقلية ونقلية ، لا تُعـد ولا تحصى ، ولكن نقتصر في هـذا المختصـر على بحث جرى بين من يـرى وجوب الإمـام ، وبين من لا يرى وجوبه :

● **هشام بن الحكم[2] وعمرو بن عبيد[3] :**

قـال هشام من حـديث ، وقـد سـألـه الإمـام الصـادق

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٢) هشـام بن الحكم ، أبو محمـد ، مـولى كنـدة ، عين الـطائفـة ووجههـا ، ومتكلمهـا ، ونـاصـرهـا . كـان مـولـده بـ (الكوفة) ، ومنشأه في (واسط) ، وتجارتـه في (بغداد) ، ثم انتقل إليها في آخـر عمره ، ونـزل قصر (وضـاح) ، وروى عن أبـي عبـدالله (ع) ، وأبـي الحسـن (ع) ، وكـان ثـقـة فـي الـروايات ، حسن التحقيق ، وكـان ممن فتق الكلام في الإمامة بمنـاظـراتـه مـع المخـالفين ، حـاضـر الجـواب . مـات سنـة (١٧٩ هـ) في (الكوفة) في أيام الرشيد العباسي ، تـرحم عليه الإمـام الـرضـا (ع) . أوصـاه مـوسى بن جعفـر (ع) ، وصيـة طويلة ، جامعة لأبواب الخير والفلاح ، كرر فيها (ع) لفظ «يا هشـام !» . (راجع سفينـة البحار : ٢/ ٧١٩ ـ تنقيـح المقال : =

(ع) ، عن صنعه مع عمرو بن عبيد ، وكيف سأله ؟ قال هشام :

«بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد ، وجلوسه في (البصرة) ، وعظم عليّ ، فخرجت إليه ، ودخلت (البصرة) يوم الجمعة ، فأتيت مسجد (البصرة) ، فإذا أنا بحلقة كبيرة ، وإذا أنا بعمرو بن عبيد ، عليه شملة

= ٢٩٥/٣ ، وفيه أثبت وفاته سنة (١٩٩ هـ) ـ مجمع الرجال للقهبائي : ٢١٦/٦) .

(٣) عمرو بن عبيد : أبو عثمان ، ولد في (بلخ) سنة (٨٠ هـ) . كان جده من سبي (كابل) من (جبال السند) . كان ذا علم كثير ، واعتبر من المحدثين الزاهدين . درس على الحسن البصري الفقه والحديث ، وأعرض عنه لاعتزاله . قال ابن حبان : كان من أهل الورع والعبادة ، إلى أنْ أحدث ما أحدث ، واعتزل مجلس الحسن ، هو وجماعة معه ، فسموا المعتزلة . (ت ١٤٤ هـ) . (راجع : مروج الذهب : ٢٠٣/٣ ـ ميزان الإعتدال : ٢٧٣/٣ ـ ٢٨٠ ـ تهذيب التهذيب : ٨/ ٧٠ـ٧٥ ـ المعارف : ٤٨٢ـ٤٨٧ ـ ابن خلكان : ١٠١/٢ ـ ١٠٢ ـ تاريخ بغداد : ١٦٦/١٢ ـ تاريخ التراث العربي : ٣٦١/٢ ـ حاشية اعتقادات فرق المسلمين للرازي : ص ٣٦ ـ سفينة البحار : ٢٦٥/٢) .

سوداء ، مؤتزر بها ، من صوف ، وشملة مرتديها ، والناس يسألونه .

فاستفرجت الناس ، فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت : أيها العالم ! أنا رجل غريب ، تأذن لي فأسألك عن مسألة ؟

قال عمرو : نعم . قلت : ألك عين ؟

قال عمرو : يا بني ! أي شيء هذا من السؤال ؟ قلت : هذه مسألتي .

قال عمرو : يا بني ! سل فإنَّ مسألتك حمقى ! قلت : أجبني فيها .

قال عمرو : سل . قلت : ألك عين ؟ قال عمرو : نعم . قلت : فما ترى بها ؟ قال عمرو : الألوان والأشخاص .

قلت : ألك أنف ؟ قال عمرو : نعم . قلت : ما تصنع به ؟ قال عمرو : أشم به الرائحة .

قلت : ألك فم ؟ قال عمرو : نعم . قلت : فما تصنع به ؟ قال عمرو أتكلم به .

قلت : ألك أذن ؟ قال عمرو : نعم . قلت : فما

تصنع بها ؟ قال عمرو : أسمع بها الأصوات .

قلت : أَلـك يدان ؟ قـال عمرو : نعم . قلت : فمـا تصنع بهما ؟ قال عمرو : أبطش بهما ، وأعـرف اللين من الخشن .

قلت : أَفلك رجلان ؟ قال عمرو : نعم . قلت : فما تصنـع بهمـا ؟ قـال عمـرو : أنتقـل بهمـا من مكـان إلى مكان .

قلت : أَفلك قلب ؟ قـال عمرو : نعم . قلت : فمـا تصنـع به ؟ قـال عمـرو : أميـز بـه كـل مـا ورد على هـذه الجوارح .

قلت : أَفليس في هـذه الجـوارح غنى عن القلب ؟ قال عمرو : لا .

قلت : وكيف ذلـك ، وهي صحيحـة سليمـة ؟ قـال عمـرو : يـا بني ! إنَّ الجـوارح إذا شـكت فـي شيء ، شمَّتـه ، أو رأتـه ، أو ذاقتـه ، فتؤديـه إلى القلب ، فييقن اليقين ، ويبطل الشك .

قلت : فـإنما قـدم الله القلب لشـك الجـوارح ؟ قـال عمرو : نعم .

قلت : فلا بد من القلب ، وإلا لم تستيقن الجوارح ؟

قال عمرو : نعم .

قلت : يا أبا مروان ! إنَّ الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً ، يصحح لها الصحيح ، وينفي ما شكت فيه ، ويترك هذا الخلق كلهم ، في حيرتهم ، وشكهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ، ترد إليه حيرتك وشكك ؟!

فسكت عمرو ولم يقل في ذلك شيئاً .

ثم التفت إلى هشام ، فقال : أنت هشام ؟ قال هشام : لا . قال عمرو : بالله ! ألست هو ؟ قال هشام : لا . قال عمرو : فمن أين أنت ؟ قال هشام : رجل من أهل (الكوفة) . قال عمرو : فأنت إذاً هو ، والله !

ثم ضمَّه إليه ، وأقعده في مجلسه ، وما نطق حتى قام»[1] .

وقد نصَّ رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، بأمر من العزيز الحكيم ، على خلافة أخيه ، وابن عمه ، ووزيره ،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب : ١/٢٤٦ ـ تنقيح المقال : ٣/٢٩٧ ـ مجمع الرجال للقهبائي : ٦/٢٢٧ ـ الإحتجاج للطبرسي : ٢/٣٦٧ ـ سفينة البحار : ٢/٢٦٦ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وإمامته ، باتفاق من المسلمين ، وإجماع من الإمامية بطرق شتى :

منها : حديث (غدير خم) في تفسير الآية الشريفة : ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك . . .**﴾[1] .

ومنها : (حديث الدار) ، حين بايعه من دون أقربائه ، في تفسير قوله تعالى : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[2] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ ـ وراجع في تفسيرها : التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) : ٥٨٧/٣ ـ الميزان في تفسير القرآن ، للسيد محمد حسين الطباطبائي : ٤٢/٦ ـ تفسير القرآن العظيم ، لعماد الدين ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : ٧٧/٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، لأبي الفضل ، شهاب الدين ، محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) : ١٨٨/٦) .

(٢) الشعراء : ٢١٤ ـ راجع تفسير الكشاف : (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل) لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : ١٣٠/٣ ـ تفسير الصافي ، للمولى محسن الملقب بـ (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١ هـ) : ٥٣/٤ ـ تفسير البيضاوي (أنوار =

ومنها : (حديث المنزلة) ، حيث قال رسول الله (ص) : «يا علي ! أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي»[1] ، وحديث : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي»[2] .

ومنها : أنه ، عليه السلام ، نفس النبي (ص) ، كما في آية المباهلة : ﴿**فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم . . .**﴾[3] .

ومنها : نزول هذه الآية الشريفة في حقه ، وإثبات

التنزيل وأسرار التأويل) لناصر الدين ، أبي سعيد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) : ٤/١١٠ ـ تفسير نور الثقلين ، للشيخ عبد العلي بن العمروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ) : ٤/٦٦) .

(١) منار الهدى : ص ١٣٣ . صحيح البخاري (كتاب بدء الخلق) .

(٢) راجع إحياء الميت بفضائل أهل البيت : ص ١٣ ـ الطبقات الكبرى : ٢/١٩٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ ـ راجع تفسير الكشاف : ١/٤٣٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/٤٥١ ـ الميزان في تفسير القرآن : ٣/٢٢٢ ـ تفسير نور الثقلين : ١/٣٤٧ .

ولايته : ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . .﴾[1] .

ومنها : إرساله (ص) إلى مكة ، بآيات من (سورة براءة) ، وعزل من أرسله قبله ، بأمر من الجليل ، جلت عظمته ، وغيرها من الآيات ، والأحاديث ، والروايات ، من طرق الخاصة والعامة .

وأما النصوص في خلافة أبنائه الأحد عشر المعصومين ، عليهم السلام ، وإمامتهم عن الله ورسوله ، أيضاً كثيرة ، ونذكر في هذا المختصر نبذة منها ، من طرق إخواننا السّنة :

عن سلمان الفارسي ، رضوان الله عليه ، قال النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : «الأئمة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل ، كانوا إثني عشر ، ثم وضع يده على صلب الحسين (ع) ، وقال : من صلبه تسعة أئمة أبرار ، والتاسع مهديهم ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، فالويل لمبغضيهم ، فقال جابر الأنصاري : يا رسول الله ! وجدت في التوراة أليًّا ، يقطو ، شبّراً ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ ـ راجع تفسير مجمع البيان : ٣/٣٢٣ ـ تفسير التبيان : ٣/٥٥٨ .

وشبيراً ، فلم أعرف أسماءهم ، فكم بعد الحسين من الأوصياء ، وما أسماؤهم ؟ فقال : تسعة من صلب الحسين ، والمهدي منهم»[1] .

ونذكر حديثاً واحداً من طرق الشيعة الإمامية ، تيمناً وتبركاً : (الحديث الثامن في الصفحة العاشرة من كتاب : نهج المحجة) : رواه محمد بن موسى المتوكل ، قال : حدثني محمد بن عبدالله الكوفي ، قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه (ع) قال :

قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : حدثني جبرئيل ، عن رب العزة ، جل جلاله ، أنه قال : «من علم أنه لا إله إلا أنا وحدي ، وأنَّ محمداً : عبدي ورسولي ، وأنَّ علي بن أبي طالب خليفتي ، وأنَّ الأئمة من ولده حججي ، أدخلته جنتي برحمتي ، ونجيته من النار بعفوي ، وأبحت له جواري ، وأوجبت له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته من خاصتي وخالصتي ، إنْ ناداني لبيته ، وإن دعاني أجبته ، وإنْ سألني أعطيته ، وإن

---

(١) كفاية الأثر : ص ٤٧ .

سكت ابتدأته ، وإن أساء رحمته ، وإن فرَّ مني دعوته ، وإنْ رجع إليَّ قبلته ، وإن قرع بابي فتحته .

ومن لم يشهد أنْ لا إله إلا أنا وحدي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ محمداً عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ علي بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنَّ الأئمة من ولده حججي ، فقد جحد نعمتي ، وصغر عظمتي ، وكفر بآياتي وكتبي ، إنْ قصدني حجبته ، وإن سألني حرمته ، وإنْ ناداني لم أسمع نداه ، وإنْ دعاني لم أسمع دعاه ، وإن رجاني خيبته ، وذلك جزاؤه مني ، وما أنا بظلام للعبيد .

قام جابر بن عبدالله الأنصاري ، فقال : يا رسول الله ! ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب (ع) ؟ قال : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، ثم سيد العابدين في زمانه ، علي بن الحسين ، ثم الباقر محمد بن علي ، وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فاقرأه مني السلام ، ثم الصادق جعفر بن محمد ، ثم الكاظم موسى بن جعفر ، ثم الرضا علي بن موسى ، ثم التقي محمد بن علي ، ثم النقي علي بن محمد ، ثم الزكي حسن بن علي ، ثم ابنه القائم بالحق ، مهدي أمتي ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، هؤلاء يا

جابر خلفائي ، وأوصيائي ، وأولادي ، وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم ، أو أنكر واحداً منهم ، فقد أنكرني ، بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أنْ تميد بأهلها»[1] .

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ١/٢٥٨ ـ البحار : ٦٨/١١٨ ـ إثبات الهداة : ١/٥١٤ ـ الجواهر السنية : ص ٢٨٢ ـ كفاية الأثر : ص ١٤٣ ـ الإحتجاج : ١/٨٧ ـ إعلام الورى : ص ٣٩٨ ـ كشف الغمة : ٢/٥١ ـ ابن شاذان : ص ١٦٧ .

ترجمة حياة
المعصومين الأربعة عشر (ع)[1] بنحو الاختصار

١ ـ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله[2]

إسمه : في السماء ، أحمد ، وفي الأرض محمد .

أشهر ألقابه : المصطفى .

أشهر كناه : أبو القاسم .

---

(١) ورد في زيارة أئمة (البقيع) :

«وأنكم دعائم الدين ، وأركان الأرض ، لم تزالوا بعين الله ، ينسخكم من أصلاب كل مطهّر ، وينقلكم من أرحام المطهرات ، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ، ولم تشرك فيكم فتن الأهواء . . .» . (مفاتيح الجنان : ص ٣٩٧) .

(٢) ورد في زيارة النبي (ص) من البعد :

«أشهد يا رسول الله ، أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية =

والـده : عبدالله ، وقـد مات قبـل ولادته في المـدينة المنورة .

والدته : آمنة بنت وهب .

ولادتـه[1] : ولـد بـ (مكـة) يـوم الجمعـة (١٧) ربيـع الأول ، بالقول المشهـور عند الإمـامية ، وفي الثـاني عشر

= بأنجاسها ، ولم تُلبسك من مدلهمات ثيـابها . . .» . (مفـاتيح الجنان : ص ٣٩٤) .

(١) قـال ابن أبي الثلج البغدادي (ت ٣٢٥ هـ) : «مضى رسـول الله (ص) ، وهو ابن ثـلاث وستين سنة في سنـة (١٠) من الهجرة ، وكان مقامه بـ (مكـة) أربعين سنة ، ثم هبط إليـه الوحي في تمام الأربعين ، وكان بمكة ثـلاث عشرة سنـة ، ثم هـاجر إلى المـدينة وهـو ابن ثلاث وخمسين سنـة ، فأقـام بها عشر سنين ، وقبض (ص) في شهر ربيع الأول ، يوم الإثنين ، لليلتين خلتـا منه» (تـاريخ الأئمـة : ص ٤ ـ مـواليـد الأئمـة : ص ١٦٢) .

● وقال السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧/١١٠٩ هـ) من حديث عن علي بن محمد (ع) ، قال : «يا أبا إسحاق ! جئت تسـألني عن الأيـام التي يصـام فيهن ، وهي الأربعـة : أولهنَّ اليوم السابع والعشرون من رجب ، يوم بعث الله تعالى محمداً (ص) ، إلى خلقه ، رحمة للعالمين ، ويوم مولده بمكة ، وهو =

منه ، بقول قوي ، بعام الفيل ، في عصر سلطنة كسرى (أنوشيروان) .

بعثته : لما بلغ عمره الشريف أربعين سنة ، صدع بالأمر ، وأظهر النبوة بأمر من الجليل .

هجرته إلى المدينة : بعد مضي ثلاثة عشر عاماً من بعثته ، هاجر إلى (يثرب) ، بسبب إيذاء المشركين له وللمسلمين ، ودعوة الأنصار الذين أسلموا من أهل المدينة ، وجاهدوا بين يديه بأموالهم ، وأنفسهم ، إلى حين وفاته ، وهاجر من بعده بقية المسلمين ، ولحقوا به ، وسموا هؤلاء بـ (المهاجرين) ، كما سموا أولئك بـ (الأنصار) ، وسميت يثرب بـ (مدينة الرسول) .

رحلته : في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، وفي الثامن والعشرين من شهر صفر ، لبّى نداء ربّه ، وقد

= السابع عشر من شهر ربيع الأول ، ويوم الخامس والعشرين من ذي القعدة ، فيه دحيت الكعبة ، ويوم الغدير فيه أقام رسول الله (ص) أخاه علياً (ع) ، علماً للناس وإماماً ، من بعده» . (حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار : ص ١٣) .

● وقال العلامة الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) : «ولد ، صلوات الله عليه وآله ، عند طلوع الفجر من يوم الجمعة ، السابع عشر من شهر ربيع الأول ، بعد سنة الفيل بخمسين يوماً ، =

مضى من سني عمره الشريف ، ثلاث وستون سنة ، ودفن في داره .

أزواجه : أوَّلهنَّ ، وأفضلهنَّ ، وأوفاهنَّ ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وهي أول من أسلمت من النساء ، وآمنت بالله وبرسوله ، وقد أوت ونصرت رسول الله ، وشاطرته الأذى والمصائب ، وأنفقت جميع أموالها في سبيل الله[1] ، وكانت مليكة قريش في جمالها ، وجلالها ، وكمالها ، وثروتها الطائلة ، وأخلاقها الفاضلة .

وقد اجتباها الله من بين أمهات المؤمنين ، وجعل ذرية خاتم أنبيائه منها ، ووهب لها من صلب نبيه (ص) الإنسية

= بـ (مكة) ، وعاش ثلاثاً وستين سنة ، منها مع أبيه سنتين وأربعة أشهر ، ومع أمه وجدّه عبد المطلب ثمانية سنين ، وكفله أبو طالب من بين أخوته بعد وفاة عبد المطلب . . . وتزوج بخديجة بنت خويلد ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولها يومئذ أربعون سنة ، ومكثت مع النبي (ص) اثنين وعشرين سنة ، وروي أنه (ص) تزوجها وهو ابن إحدى وعشرين سنة . . . » (تاج المواليد : ص ٨٢) .

(١) قال رسول الله (ص) : «ما قام الإسلام ، إلا بسيف علي ، وثروة خديجة» . (فاطمة الزهراء (ع) ، وتر في غمد للكاتب المسيحي الشهير سليمان كتّاني : ص ١١٢) .

الحوراء ، فاطمة الزهـراء ، سلام الله عليهـا ، وقد تـزوج (ص) بعد وفـاة خديجة ، بعدة أزواج ، وارتحل إلى جوار ربّـه ، عن تسعة منهنَّ، وقـد أعرضت عن ذكـرهن رعـايـة للإختصار[1] .

أولاده (ص) : اخـتلف الـمؤرخـون والـعلمـاء فـي أولاده ، هل الذين ينسبون إليه من صلبه ؟ أم هم ربائبـه ؟ أم غير ذلك ؟ وليس هذا المختصر محـل الشرح والبسط ، والجرح والتعديل ، والرد والقبول ، فنقتصر على ما اتفقت عليه أقوال الجميع ، وآراؤهم :

١ ـ فاطمة الزهراء ، سـلام الله عليها ، وعلى أبيهـا ، وبعلها ، وبنيها ، وأمها أم المؤمنين خديجـة بنت خويلد ، كما ذكرنا .

---

(١) قـال العلامـة الطبـرسي ، عليه الـرحمـة : «تـزوج ، صلوات الله عليه ، بثلاث عشرة امرأة ، ست منهنَّ قـرشيات : إحـداهنَّ : خـديجـة بنت خـويلد بن أسـد بن عبـد العـزّى بن قصي . والثـانية : أم سلمـة ، واسمهـا هنـد بنت أبي أميـة . والثالثة : سودة بنت زمعة . والرابعة : عـائشة بنت أبي بكـر . والخامسة : حفصة بنت عمر . والسادسة : أم حبيبـة بنت أبي سفيان . والأخريات من قبائـل شتى : فمن قيس : زينب بنت =

٢ ـ إبراهيم (ع) : وأمه مارية القبطية .

غزواته (ص) : الحروب التي وقعت في زمانه بين المسلمين والكفار ، نيف وثمانون ، كما ذكروا ، وأهمها : غزوة بدر ، وأُحُد ، وخيبر ، والأحزاب ، وحنين ، والفتح .

= خزيمة ، وميمونة بنت الحارث . ومن أسد : زينب بنت جحش . ومن كندة : أمامة بنت نعمان ، وجويرية بنت الحارث . ومن بني إسرائيل من أسارى (خيبر) : صفية بنت حي بن أخطب ، أتى بها أمير المؤمنين (ع) . وأم شريك ، وهي التي وهبت نفسها للنبي ، صلوات الله عليه وآله . وقد ماتت جملة من أزواجه في حياته ، صلوات الله عليه ، ومنهن زينب بنت خزيمة ، وخديجة بنت خويلد وغيرهما . ولم يتزوج بمكة إلا بخديجة ، رضي الله عنها» . (تاج المواليد : ص ٨٦) .

٢ ـ الإمام علي بن أبي طالب (ع)

أشهر أسمائه : علي .

أشهر ألقابه(١) : أمير المؤمنين .

أشهر كناه : أبو الحسن .

والده : أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم «مؤمن قريش» .

والدته : فاطمة بنت أسد بن هاشم .

وليد الكعبة : عن أبي عبدالله جعفر بن محمد (ع)، عن آبائه (ع) قال : كان العباس بن عبد المطلب ، ويزيد بن

---

(١) ومن أشهر ألقابه ، عليه السلام : سيد الأوصياء ، قائد الغر المحجلين ، الصّديق الأكبر ، الفاروق الأعظم ، قسيم الجنة والنار، الوصي . (تاريخ أهل البيت (ع) : ص ١٢٩) .

قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم ، إلى فريق عبد العزى ، بإزاء بيت الله الحرام ، إذ أتت فاطمة (ع) بنت أسد بن هاشم ، أم أمير المؤمنين (ع) ، وكانت حاملة بأمير المؤمنين (ع) ، لتسعة أشهر ، وكان يوم التمام .

قال : فوقفت بإزاء البيت الحرام ، وقد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها نحو السَّماء ، وقالت : أي رب ! إني مؤمنة بك ، وبما جاء به من عندك الرسول ، وبكل نبي من أنبيائك ، وبكل كتاب أنزلته ، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل ، وأنه بنى بيتك العتيق ، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه ، وبهذا المولود الذي في أحشائي ، الذي يكلمني ، ويؤنسني بحديثه ، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك ، لما يسرت عليَّ ولادتي !

قال العباس بن عبد المطلب ، ويزيد بن قعنب :

فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ، ودعت بهذا الدعاء ، رأينا البيت قد انفتح من ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله ، فرمنا أنْ نفتح الباب ، لتصل إليها بعض نسائنا ، فلم ينفتح الباب ، فعلمنا أنَّ ذلك أمر من أوامر الله تعالى ، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام ، قال : وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك ، وتتحدث المخدرات

في خدورهن .

قال : فلما كان بعد ثلاثة أيام ، انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه ، فخرجت فاطمة بعلي على يديها ، ثم قالت :

«معاشر الناس ! إنَّ الله ، عزَّ وجل ، اختارني من خلقه ، وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي ، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم ، فإنها عبدت الله ، عزَّ وجل ، سراً ، في موضع لا يحب أنْ يُعبد الله فيه إلا اضطراراً ، وإنَّ مريم بنت عمران ، اختارها الله ، حيث يسَّر عليها ولادة عيسى ، فهزت الجذع اليابس من النخلة ، في فلاة من الأرض ، حتى تساقط عليها رطباً جنياً .

وإن الله تعالى ، اختارني وفضلني عليهما ، وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين ، لأني ولدت في بيته العتيق ، وبقيت فيه ثلاثة أيام ، آكل ثمار الجنة وأرزاقها .

فلما أردت أنْ أخرج ، وولدي على يدي ، هتف بي هاتف ، وقال : يا فاطمة ! سمّيه علياً ، فأنا العلي الأعلى ، وأني خلقته من قدرتي ، وعز جلالي ، وقسط عدلي ، واشتققت اسمه من إسمي ، وأدبته بأدبي ، وهو أول من يؤذن فوق بيتي ، ويكسر الأصنام ، ويرميها على وجوهها ، ويعظمني ، ويمجدني ، ويهللني ، وهو الإمام بعد حبيبي ، ونبيي ، وخيرتي من خلقي ، محمد

رسولي ، ووصيه ، فطوبى لمن أحبه ونصره ، والويل لمن عصاه وخذله ، وجحد حقه .

فلما رآه أبو طالب ، سُرَّ ، وقال عليّ (ع) : السلام عليك يا أبة ، ورحمة الله وبركاته ، ثم قال : دخل رسول الله (ص) ، فلما دخل ، اهتز له أمير المؤمنين (ع) ، وضحك في وجهه ، وقال : السلام عليك يا رسول الله (ص) ، ورحمة الله وبركاته ، ثم تنحنح بإذن الله تعالى ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ الآية [1] .

فقال رسول الله (ص) : قد أفلحوا بك ، وقرأ تمام الآية إلى قوله ﴿**أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ [2] .

فقال رسول الله (ص) : أنت والله أميرهم ، تميرهم من علومك ، فيمتارون ، وأنت والله دليلهم ، وبك يهتدون .

ثم قال رسول الله (ص) لفاطمة : إذهبي إلى عمه حمزة ، فبشريه به . فقالت : فإذا خرجت أنا ، فمن يرويه ؟ قال : أنا أرويه ! فقالت فاطمة : أنت ترويه ؟! قال : نعم .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١ و ٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٠ و ١١ .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : ووضع رسول الله (ص) لسانه في فيه ، فانفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وذلك قوله تعالى : ﴿**فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً**﴾[1] . قال : فسمي ذلك اليوم ، يوم التروية .

فلما أن رجعت فاطمة بنت أسد ، رأت نوراً قد ارتفع من عليّ إلى عنان السماء ، قالت : ثم شددته وقمطته قماطاً ، فبتر القماط ، ثم جعلته قماطين فبترهما ، فجعلته ثلاثة فبترها ، فجعلته أربعة أقمطة من رق مصر ، لصلابته ، فبترها ، فجعلته خمسة أقمطة ديباج لصلابته ، فبترها كلها ، فجعلته ستة من ديباج وواحد من الأدم ، فتمطى فيها ، فقطعها كلها بإذن الله ، ثم قال ، بعد ذلك : يا أمه ! لا تشدي يدي ، فإني أحتاج إلى أن أبصبص لربي بإصبعي !

قال : فقال أبو طالب عند ذلك : إنه سيكون له شأن ونبأ . قال : فلما كان من غد ، دخل رسول الله (ص) على فاطمة ، فلما بصر علي (ع) برسول الله (ص) ، سلّم عليه ، وضحك في وجهه ، وأشار إليه أن خذني إليك ، واسقني مما سقيتني بالأمس !

قال : فأخذه رسول الله (ص) . فقالت فاطمة : عرفه ورب الكعبة ! قال : فلكلام فاطمة ، سمي ذلك اليوم ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٦٠ .

يـوم عـرفـة ، يعني أن أميـر المؤمنين عـرف رسـول الله (ص) .

فلما كان يوم الثالث ، وكان العاشـر من ذي الحجة ، أذن أبو طالب في الناس أذاناً جـامعاً ، وقـال : هلموا إلى وليمـة إبني علي . قال : ونحـر ثلاثمئـة من الإبل ، وألف رأس من البقـر ، والغنم ، واتخذ وليمـة عظيمـة ، وقال : معاشر الناس ! ألا من أراد من طعام علي ولـدي ، فهلموا وطـوفوا بـالبيت سبعاً سبعـاً ، وادخلوا وسلموا على ولـدي عليّ ، فـإن الله شـرَّفـه ، ولفعـل أبي طـالب شـرف يـوم النحر»[1] .

شهيد المحـراب : استشهد ، سلام الله عليـه ، في ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضـان سنة أربعين ، وقـد مضى من عمره الشريف ثلاثة وستـون عامـاً ، في (مسجد الكوفة) .

قاتله[2] : ضربه على رأسه الشـريف عبد الـرحمن بن

---

(١) حليـة الأبـرار : ١/٢٢٦ ـ أمـالي الشيـخ الـطوسي : ص ٧١٥ ـ مجلس يوم الجمعة (٢٤) ذو القعدة .

(٢) عن أم كلثوم بنت علي (ع) ، قالت : آخـر عهد أبي =

ملجم المرادي ، بسيفه المسموم ، والإمام في حال الصلاة ، بـ (مسجد الكوفة) في الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان المبارك .

غزواته :

لم يتخلف أمير المؤمنين (ع) ، عن موقف

= إلى أخوي (ع) ، أنْ قال : يا بني إنْ أنا مت فغسلاني ، ثم نشفاني بالبردة التي نشفتم بها رسول الله (ص) ، وفاطمة (ع) ، ثم حنطاني ، وسجياني على سريري ، ثم انظرا ، حتى إذا ارتفع لكما مقدم السرير ، فاحملا مؤخره ، قال : فخرجت أشيع جنازة أبي ، حتى إذا كنا بظهر (الغري) ، فوُضع ركن المقدم ، فوضعنا المؤخر ، ثم برز الحسن (ع) ، بالبردة التي نشف بها رسول الله (ص) ، وفاطمة ، وأمير المؤمنين (ع) ، ثم أخذ المعول ، فضرب ضربة ، فانشق القبر عن ضريح ، فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطران بالسريانية : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر ادَّخره نوح النبي لعلي وصي محمد ، قبل الطوفان بسبعمئة عام» . قالت أم كلثوم : فانشق القبر ، فلا أدري ، أغار سيدي في الأرض ، أم أسري به إلى السماء ، إذ سمعت ناطقاً لنا بالتعزية : أحسن الله لكم العزاء في سيدكم ، وحجة الله على خلقه» (البحار : ٤٢/٢١٦ ـ فرحة الغري : ص ٢٤) .

التصدي للمشركين ، والدفاع عن الإسلام ، ونشر دين الله تعالى في الأرض عن طريق مؤازرة النبي (ص) في جميع الظروف والمناسبات ، ومن أهم الغزوات التي كان له فيها الدور الأساس والفاعل : غزوة بدر الكبرى ، غزوة أُحد ، غزوة الخندق ، غزوة خيبر ، غزوة فتح ، غزوة حنين ، وذات السلاسل . ونتحدث بنحو الإختصار عن غزوتين : غزوة الخندق ، وغزوة خيبر .

١ ـ غزوة الخندق :

قال رسول الله (ص) يوم الخندق :

«برز الإيمان كلّه ، إلى الشّرك كلّه» .

«لما بلغ رسول الله (ص) ، أن قريشاً تجمعت ، وقائدهم أبو سفيان بن حرب ، وأن غطفان تجمعت ، وقائدهم عيينة بن حصن ، واتفقوا مع بني النضير من اليهود ، على قصد رسول الله (ص) ، وحصار (المدينة) ، أخذ النبي (ص) في حراسة (المدينة) ، بحفر الخندق عليها ، وعمل النبي (ص) فيه ، بنفسه الشريفة ، وأحكمه في أيام .

فلما فرغ رسول الله (ص) ، من حفره ، أقبلت الأحزاب ، فهال المسلمين أمرهم ، وكان أكبر هم دخل المسلمين ، أن عمرو بن عبد ود العامري ، الذي كانت

العرب تضرب بشجاعته المثل ، كان مع المشركين ، وكان عددهم ثمانية عشر ألفاً ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، كأنَّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو ، وكان النبي (ص) يدعو الله على الأحزاب بالهزيمة ، ويشجع المسلمين .

وأقبل عمرو بن عبد ودّ مع جمع من الفوارس منهم عكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، وهبيرة بن أبي وهب ، ومرداس الفهري ، ونوفل بن عبدالله ، ولما رأوا الخندق ، قالوا : مكيدة ما كانت العرب تكيدها ! ثم ضربوا خيولهم ، فاقتحمت بهم الخندق ، وجاءت بهم فيما بين (الخندق) ، و (سلع) ، والمسلمون وقوف ، لا يقدم أحد منهم عليهم .

وجعل عمرو بن عبد ود ، يدعو إلى البراز ، ويقول : أين حميتكم ؟ أين جنتكم التي تزعمون أنَّ من قُتل دخلها ؟! أفلا يبرز إليَّ رجل منكم ؟

ثم ركز رمحه في الأرض ، وأقبل يجول جولة ، ويرتجز ، ويقول :

ولقد بُحِحْتُ من النّدا ءِ بجمعكم : هل من مبارز؟
ووقفت إذ وقف الشجا ع ، مواقف القرم المناجز
إني كذلك لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز

إنَّ الشجاعة في الفتى والجود، من خير الغرائز

فقال رسول الله (ص) : من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد من المسلمين ؟ فقال النبي ثلاث مرات : أيكم يبرز إلى عمرو ، وأضمن له على الله الجنة ؟ وفي كل مرة كان يقوم علي (ع) ، والقوم ناكسون رؤوسهم .

فوثب إليه أخيراً أمير المؤمنين (ع) فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال (ص) : يا علي ! هذا عمرو بن ود ، فارس ياليل ، قال (ع) : وأنا علي بن أبي طالب !

فقال له رسول الله (ص) : أدن مني ، فدنا منه ، فعممه بيده ، ودفع إليه ذا الفقار ، وقال : إذهب وقاتل بهذا ، وقال : اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته ، برز الإيمان كله ، إلى الشرك كله ! فمرَّ أمير المؤمنين يهرول ، ويقول :

لا تعجلنَّ فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجزْ
ذو نية، وبصيرة، والصدق منجي كل فائزْ
إني لأرجو أنْ أُقيـ ـمَ عليك نائحة الجنائزْ
من ضربة نجلاءَ يبـ ـقى ذكرها بعد الهزاهزْ

قال عمرو : ومن أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي

طالب ، ابن عم رسول الله (ص) وختنه . فقال : والله ! إن أباك كان لي صديقاً ، وإني أكره أنْ أقتلك ! ما آمن ابن عمك ، حين بعثك إليّ ، أن أختطفك برمحي هذا ، فأتركك بين السماء والأرض ، لا حيّ ، ولا ميت !

فقال له أمير المؤمنين (ع) : قد علم ابن عمي أنك إنْ قتلتني دخلتُ الجنة ، وأنت في النار ، وإنْ قتلتك فأنت في النار ، وأنا في الجنة !

فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي ، تلك إذن قسمة ضيزى ! فقال له (ع) : دع عنك هذا يا عمرو ، وإني سمعتك ، وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول : لا يعرض عليَّ أحد بثلاث خصال ، إلا أجبته إلى واحدة منها . وأنا أعرض عليك ثلاث خصال ، فأجبني إلى واحدة .

فقال عمرو : هات يا علي . فقال (ع) :

الأولى : أن تشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فقال : نحّ عني هذا . قال (ع) :

الثانية : أن ترجع وتردَّ هذا الجيش عن رسول الله (ص) ، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً ، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فقال : إذن تتحدث نساء العرب بذلك ، وتنشد الشعراء بأشعارها ، إني جبنت عن الحرب ، ورجعت على عقبي ، وخذلت قوماً رأسوني

عليهم ! فقال له أمير المؤمنين (ع) :

فالثالثة : أن تنزل إليّ ، فإنك راكب ، وأنا راجل ، حتى أُنابذك ، فوثب عن فرسه ، وعرقبه ، وقال : هذه خصلة ما ظننت أحداً من العرب يسومني عليها .

ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين بالسيف على رأسه ، فاتقاه أمير المؤمنين بالدَّرقة ، فقطعها ، وثبت السيف على رأسه .

● ضربة علي (ع) يوم الخندق، أفضل من عبادة الثقلين :

فقال له أمير المؤمنين (ع) : يا عمرو ! أما كفاك إني بارزتُك ، وأنت فارس العرب ، حتى استعنت عليَّ بظهير ؟!

فالتفت عمرو إلى خلفه ، فضربه أمير المؤمنين (ع) مسرعاً على ساقيه ، فقطعهما جميعاً ، وارتفعت بينهما عجاجة ، فقال المنافقون : قُتل عليّ بن أبي طالب !

ثم انكشفت العجاجة ، وإذ أمير المؤمنين (ع) على صدر عمرو ، وقد أخذ بلحيته يحزّ برأسه ، فلما ذبحه ، أخذ رأسه ، وأقبل إلى رسول الله (ص) ، والدماء تسيل

على رأسه من ضربة عمرو ، وسيفه يقطر منه الدم ، وهو يقول والرأس بيده :

أنا عليٌّ وابن عبد المطَّلب أَلموت خير للفتى من الهرب

فقال رسول الله (ص) : يا علي ! ماكرته ؟ فقال (ع) : نعم يا رسول الله ، الحرب خديعة .

فجعل (ص) يمسح الغبار عن عينيه ، وقال له :

«يا علي ! لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أُمة محمد ، لرجح عليه !»[1] وذلك أنه لم يبق بيت من المسلمين إلاَّ وقد دخله عزّ بقتل عمرو .

أما أصحاب عمرو الذين كانوا معه ، لما رأوا ما حلَّ بصاحبهم ، انهزموا حتى اقتحمت خيولهم الخندق ،

---

(١) وقد ورد في حديث آخر عن الرسول (ص) أنه قال : «لمبارزة علي بن أبي طالب (ع) ، لعمرو بن عبد ود ، يوم الخندق ، أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة» ، كما ورد قوله (ص) : «ضربة علي (ع) يوم الخندق ، أفضل من عبادة الثقلين» . وقال عمر بن الخطاب : «هلا استلبت درعه يا علي ! فليس للعرب درع خير منها ؟ فقال (ع) : ضربته فاتقاني بسوءَته واستحييت أن استلبه !» . (نور الأبصار : ص ٨٨) .

وتبادر أصحاب النبي (ص) ينظرون إليهم ، فوجدوا نوفل بن عبدالله في جوف الخندق ، لم ينهض به فرسه ، فرموه بالحجارة ، فصاح : قتلة أجمل من هذه ! فنزل إليه أمير المؤمنين (ع) فقتله ، ولحق هبيرة ، وضرب قربوس سرجه ، وسقطت درع كانت له ، ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه ، وفرّ ، ونجا البقية .

فلما رآهم قومهم ، وهت عزائمهم ، ولم يجدوا بداً من الهزيمة والفرار ، ووقع الوهن في المشركين ، وكفى الله المؤمنين شر القتال بعليّ (ع) .

ولما نُعي عمرو إلى أخته ، شقت جيبها ، وجاءت إلى مصرعه ، وجلست عند رأسه ، فلما نظرت إليه غير مسلوب ، قالت : من قتله ؟ فقيل : علي بن أبي طالب (ع) ، فأنشدت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يُعاب به ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد[1]

---

(١) غزوات أمير المؤمنين (ع) : ص ٥٤ ـ تاريخ بغداد : ١٣/ ١٩ ـ مستدرك الحاكم : ٣/ ٣٢ ـ نور الأبصار : ص ٨٨ ـ فضائل الخمسة : ٢/ ٣٢٠ .

٢ ـ غزوة خيبر[١] :

كانت في ذي الحجة ، سنة (٦ هـ) ، بعد الحديبية ، وقيل في جمادى الأولى سنة (٧ هـ) ، حاصر رسول الله (ص) خيبراً ، بضعاً وعشرين ليلة ، وكانت الراية يومئذ لأمير المؤمنين (ع) ، فلحقه رمد ، فمنعه عن الحرب ، وكان المسلمون يتناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم وجنباتها .

فلما كان ذات يوم ، فتحوا الباب ، وكانوا قد خندقوا على أنفسهم خندقاً ، وخرج مرحب بنفسه يتعرض للحرب ، فدعا رسول الله (ص) ، أبا بكر ، وقال : خذ الراية ، فأخذها في جمع من المهاجرين والأنصار ، فاجتهد فلم يغن شيئاً ، وعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه ، ويؤنبونه .

فلما كان من الغد ، تعرض لها عمر ، فسار بها غير بعيد ، فعاد يجبن أصحابه ويجبنونه !

فقال (ص) : ليست الراية لمن حملها ، جيئوني

---

(١) خيبر : على ثمانية برد من (المدينة) لمن يريد (الشام) (معجم البلدان) .

بعلي بن أبي طالب ! فقيل لـه : إنه أرمـد ، فقال (ص) : «أرونيـه تـروني رجـلاً ، يحب الله ورسـولـه ، ويحبـه الله ورسوله ، يأخذها بحقها كرار ، وليس فراراً !» .

وروى ابن شهـرآشـوب[1] : عن جمـاعـة من أهـل العلم ، يزيدون على سبعين نفـراً ، أنه لمـا خرج مـرحب بـرجله ، وبعث النبي أبا بكـر وعمـر ، وكـان مـا كـان من أمـرهمـا ، بحسب مـا تقـدم قـال النبي (ص) : «لأعـطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبـه الله ورسولـه ، كرار غير فرار ، يأخـذها عنـوة !» ، وبات النـاس يذكـرون ليلتهم أيهم يعطاها .

فلمـا أصبح الصبـح ، غدوا على رسـول الله (ص) ، كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقـال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يشتكي عينيه ! قال : فأرسلوا إليه .

فأتي به ، فتفل في يده ، ومسحها على عينيه ، ودعـا له ، فبرىء ، وأعـطاه راية بيضـاء ، وقال لـه : خذ الـراية وامض بها ، فإن جبرائيل معك ، والنصر أمامك ، والرعب مثبـوت في صدور القـوم ، واعلم يـا علي ، إنهم يجـدون في كتـابهم أنَّ الـذي يـدمّـر عليهم إسمـه (إيليـا) ، فـإذا

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٢٧ .

لقيتهم ، فقل : أنا علي ، فإنهم يُخذلون إن شاء الله تعالى .

قال أمير المؤمنين (ع) : فمضيت بها ، حتى أتيت الحصون ، فصحت : أنا علي بن أبي طالب !

فخرج مرحب ، وعليه مغفر ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة ، على أُمّ رأسه ، وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمت خيبرُ أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحينا أضرب إذا الليوث أقبلت تلتهب

فقلت :

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
على الأعادي مثل ريح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فلما سمعها مرحب ، هرب ، لأنه كانت له كاهنة تعجب بشأنه ، وعظم خلقه ، وتقول له : قاتل كل من قاتلك وغالبك إلا من تسمَّى عليك بـ (حيدرة) ، فإنك إنْ وقعتَ له هلكت !

فقيل لمرحب : تأخذ بقول النساء ، وهن يخطئن بأكثر مما يُصبن ، وحيدرة في الدنيا كثير . . . فرُدَّ مرحب .

قال أمير المؤمنين (ع) : فاختلفنا ضربتين ، فبدرته ، فضربتُه ، فقددت الحجر ، والمغفر ، ورأسه ، حتى وقع السيف في أضراسه ، فخر صريعاً !!

ولما قتل أميرُ المؤمنين (ع) مرحباً ، رجع من كان معه ، وأغلقوا باب الحصن عليهم ، عندها اقتلع أمير المؤمنين (ع) الباب[1] ، وجعله جسراً للمسلمين حتى عبروا ، وظفروا بالحصن ، ونالوا الغنائم[2] .

---

(١) راجع : المغازي للواقدي : ٦٣٣/٢ ـ عيون الأثر لإبن سيد الناس : ١٦٨/٢ ـ سيرة ابن هشام : ٣٢٨/٣ ـ أشعة الأنوار : ص ١١٨ ـ شرح الأخبار : ٣٠١/١ ـ مناقب آل أبي طالب : ٢٩٣/٢ ، و١٢٧/٣ .

(٢) حصن القموص ، هو حصن خيبري مشهور في التاريخ ، وكان بابه مؤلفاً من قسمين يحتاج كل قسم منه إلى أربعة وأربعين رجلاً لفتحه وغلقه . وفي ذلك يقول علامة المعتزلة ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ/ ٦٥٦ هـ) ، شارح (نهج البلاغة) ، من ضمن قصيدة من مجموعة قصائده ، يمدح بها أمير المؤمنين (ع) ، والتي مطلعها : «يا رسم لا رسمتْك ريح زعزع» :

يا قالع الباب الذي عن هزّها عجزت أكفٌّ أربعون وأربع

أشهر الوقائع في أيام خلافته :

● حربه مع الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين : أما الناكثون ، والقاسطون ، والمارقون ، فتواريخهم معروفة مشهورة ، ومذكورة في كتب التواريخ المختلفة .

أزواجه :

كان للإمام (ع) عدة أزواج ، نذكر في هذا المختصر اثنتين منهن فقط ، لامتيازهما على من سواهما :

الأولى : فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد زوجها النبي من ابن عمها علي (ع) ، بأمر من العزيز الحكيم ، وكان عقد زواجها في السماء ، عاقده الجليل ، وخطيبه راحيل ، والواسطة جبرائيل .

وهي أفضلهنَّ ، وأشرفهنَّ ، وأحبُّهنَّ إليه ، وأول من

= لولا حدوثك قلت : إنك جاعل الـ أرواح في الأشباح ، والمستنزِعُ
لولا مماتك قلت : إنك باسط الـ أرزاق ، تقدر في العطاء وتوسَع
والله لولا حيدر ، ما كانت الدْ دُنيا ، ولا جمع البرية مجمع
من أجله خُلقَ الزمان وضوّئتْ شهبٌ كنسن ، وجنَّ ليلٌ أدرعُ

(راجع القصائد العلويات السبع : ص ١٤٠) .

اختارها وتزوجها ، ولم يتزوج بغيرها ما دامت هي في الحياة .

والأخرى : فاطمة الكلابية ، المكنَّاة بـ (أم البنين)[1] ، والدة أبي الفضل العباس ، قمر بني هاشم ، صاحب راية أخيه أبي عبدالله الحسين (ع) ، بـ (كربلاء) .

وهي بعد فاطمة الزهراء ، أكمل زوجات أمير المؤمنين (ع) ، وأوفاهنَّ ، رضوان الله تعالى عليها ، وعلى أبنائها الأكبش الأربعة .

أولاده (ع) : كان لأمير المؤمنين (ع) ، على المشهور ، من البنين ، إثنا عشر ، ومن البنات ستة عشر ،

---

(١) أم البنين : فاطمة بنت حزام الكلابية ، تزوجها مولانا أمير المؤمنين (ع) ، بإشارة من أخيه عقيل ، حين طلب منه أن يختار له امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ، ليتزوجها ، فتلد له غلاماً فارساً . وكان عقيل نسَّابة ، عالماً بأخبار العرب وأنسابهم ، فولدت له العباس ، وعبدالله ، ثم جعفراً وعثمان ، وكلهم قتلوا مع أخيهم الحسين (ع) بـ (كربلاء) . كانت شاعرة فصيحة .

والمجموع ثمانية وعشرون من شتى النساء ، نذكر منهم ، تيمناً وتبركاً ، ستة فقط ، مراعاة للإختصار :

الأول والثاني : الإمامان الهمامان الحسن والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة ، وريحانتا رسول الله ، صلى الله عليهما ، وعلى جدهما ، وأبيهما ، وأمهما .

الثالث : محمد بن الحنفية ، صاحب راية أبيه أمير المؤمنين (ع) ، في الحروب ، وكفى له فضلاً وفخراً ، ولشجاعته وشهامته[1] برهاناً ودليلاً .

الرابع : العباس ، وكنيته أبو الفضل ، وأشهر ألقابه قمر بني هاشم ، وكان ، سلام الله عليه ، صاحب راية أخيه الحسين (ع) ، بـ (كربلاء) . وفاؤه ، وحبّه ، ومواساته لأخيه ، وسائر فضائله الذاتية ، غنية عن التعريف ، وقد قال الشاعر في حقه :

أبا الفضل،يا من أسَّس الفَضْل والإبا   أبا الفضل الا أن تكون له أبا

---

(١) قال رجل لمحمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم : لم غرَّ بك أبوك في الحروب ، وما غرَّ بالحسن والحسين ؟ فقال : لأنهما عيناه ، وأنا يمينه ، فهو يدفع بيمينه عن عينيه . (المختار من نوادر الأخبار للمقري : ص ١٩٤) .

الخامسة : زينب الكبرى ، سلام الله عليها ، عقيلة بني هاشم ، التي قال في حقها الإمام زين العابدين : «عالمة غير معلمة»[1] . فضلها ، وجلالها ، معروف مشهور ، لقد شاطرت أخاها الحسين بالمصائب ، وساعدته على الجهاد ، وحفظ دين الله ، وهي أكبر بنات الإمام (ع) .

السادسة : أم كلثوم ، وهي أيضاً فاضلة جليلة ، وكانت مع أخيها بـ (كربلاء) ، وأمهما فاطمة الزهراء ، سلام الله عليها ، وعلى أبيها ، وبعلها ، ونبيها .

فضائله (ع) : إحصاء فضائله (ع) ، فوق طاقة المخلوقين ، ولا يحصيها إلا الله الذي أعطاه ، وكفى في حقه ، وعلو شأنه ومقامه ، وأنه في طرف عن الخلائق ، ما قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : «يا علي ! ما عرفك إلا الله وأنا»[2] .

ونكتفي في هذا المختصر ، بدرج حديث دلَّ على ما تقرر ، في (مناقب الخوارزمي) : «ولو أنَّ الأشجار أقلام ، والبحار مداد ، والجن والإنس كُتَّاب ، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب (ع)» .

---

(١) تراجم أعلام النساء للحائري : ٢/ ١٧٠ .

(٢) مشارق أنوار اليقين : ص ١١٢ .

وحتى خطبه التي ألقاها على رعيته في (مسجد الكوفة) ، ورسائله التي أرسلها لعماله وغيرهم ، نوع من الإعجاز كما قيل : «كلامه (ع) ، تحت كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوق»[1] . وقد جمعها السيد الشريف السيد الرضيّ ، وجعلها بين الدفتين كتاباً ، وسمَّاه (نهج البلاغة) .

مدفنه الشريف[2]: النجف الأشرف الذي أصبح في القرون

---

(١) البحار : ٤١/١٤٦ . وقال الشيخ محمد عبده المصري : «وليس في أهل هذه اللغة ، إلا قائل بأنَّ كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، هو أشرف الكلام وأبلغه ، بعد كلام الله تعالى ، وكلام نبيه (ص) ، وأغزره مادة ، وأرفعه أسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني» (شرح نهج البلاغة لمحمد عبده : ص ١٠) .

(٢) عن عبدالله بن حازم قال : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة ، نتصيَّد ، فصرنا إلى ناحية (الغريَّين) ، و (الثوية) ، فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب ، فحاولتها ساعة ، ثم لجأت الظباء إلى أكمة ، فسقطت عليها ، فسقطت الصقورة ناحية ، ورجعت الكلاب . فتعجب الرشيد من ذلك ، ثم إنَّ الظباء هبطت من الأكمة ، فسقطت الصقورة والكلاب ، فرجعت الظباء إلى الأكمة ، فتراجعت عنها =

الأخيرة مركزاً لطلاب العلوم الدينية ، ومجمعاً لفقهاء الجعفرية ، علماء الشيعة الإثني عشرية ، وحرمه الشريف مهبطاً للملائكة ، وكعبة للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود ، تؤمه الملوك ، وتخضع على بابه السلاطين ، كما قال الشاعر :

تزاحم تيجان الملوك ببابه وتكثر عند الاستلام ازدحامها
إذا ما رأته من بعيد ترجَّلت وإن هي لم تفعل ترجَّل هامها[1]

= الكلاب والصقورة ، ففعلت ذلك ثلاثاً ، فقال هارون : اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به . فأتيناه بشيخ من بني أسد ، فقال هارون : ما هذه الأكمة ؟ قال : إنْ جعلت لي الأمان أخبرتك ! قال : لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك ، ولا أوذيك ! قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، أنهم كانوا يقولون : هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (ع) ، جعله الله حرماً ، لا يأوي إليه أحد إلا أمن ! (البحار : ٤٢/٣٣١ ـ فرحة الغري : ص ١١٩ ـ مفاتيح الجنان : ص ٤٠٩ . ط . دار الأضواء ـ بيروت) .

(١) البيتان لأبي الحسن التهامي ، وخمَّسهما الشيخ كاظم الأزري (ت ١٢١١ هـ) ، والشيخ محمد حسن الجواهري (ت ١٣٣٥ هـ) . (أعيان الشيعة : ٤٣/٢٢٨ ـ تحت راية الحق : ص ٢١٠) .

٣- فاطمة الزهراء (ع)

أشهر أسمائها : فاطمة .

أشهر ألقابها : الزهراء .

أشهر كناها : أم أبيها .

والدها : رسول الله (ص) .

والدتها : خديجة أُم المؤمنين .

زوجها : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

ولادتها : على المشهور في يوم الجمعة ، عشرين من الجمادى الأخرى ، السنة الخامسة من البعثة ، بـ (مكة المكرمة) ، في دار أمها خديجة .

وفاتها: عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً[1] على

(١) لما قبض رسول الله (ص) ، افتجع له الصغير والكبير ، والرجال والنساء ، وكثر عليه العويل والبكاء ، فصارت المدينة ضجة واحدة كضجيج الحجيج إذا أهلوا =

الأشهر ، وخمسة وتسعين يوماً ، على الأقوى ، وعمرها عند وفاتها ثماني عشرة سنة إلا أياماً .

= بالإحرام ، وعظم رزؤه على أهل بيته الطيبين ، ولم يكن بين الجميع أشد حزناً من مولاتنا فاطمة الزهراء (ع) ، حيث كان حزنها يتجدد ، وبكاؤها يشتد ، فلا يهدأ لها أنين ، ولا يسكن منها الحنين ، ولا تهدأ زفرتها ، فاجتمع شيوخ أهل المدينة ، وأقبلوا إلى أمير المؤمنين (ع) ، فقالوا له : يا أبا الحسن ! إن فاطمة تبكي الليل والنهار ، فلا أحد منا يتهنأ بالنوم ، في الليل على فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا ، وطلب معايشنا ، وإنا نخبرك أن تسألها : إما أن تبكي ليلاً ، أو نهاراً ؟ فقال (ع) : حباً وكرامة . فأقبل أمير المؤمنين (ع) ، حتى دخل على فاطمة ، صلوات الله عليها ، وهي لا تفيق من البكاء ، ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رأته سكنت هنيهة ، فقال لها : يا بنت رسول الله ! إنَّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما تبكين أباك ليلاً ، وإما نهاراً ! فقالت (ع) : يا أبا الحسن ! ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم ، فوالله لا أسكت ليلاً ، ولا نهاراً ، أو ألحقْ بأبي رسول الله (ص) ! فقال لها علي (ع) : إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك ، ثم إنه بنى لها بيتاً في البقيع ، نازحاً عن المدينة يسمى (بيت الأحزان) . وكانت (ع) ، إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين (ع) ، أمامها ، وخرجت إلى البقيع باكية ، فلا تزال بين =

مدفنها الشريف : دفنها أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب (ع) ، ليلاً ، طبقاً لوصيتها ، ولم يعلن للناس ، فأصبح قبرها مخفياً إلا لدى الخواص الذين حضروا دفنها ، وكانت هي راضية عنهم ، واختلفت الروايات : بين (البقيع) ، و(بيتها) ، و(الروضة) التي بين قبر النبي (ص) ومنبره .

أولادها : الإمامان الهمامان الحسن والحسين (ع) ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم ، ومحسن الذي سقط لما عُصرت ، سلام الله عليها ، بين الحائط والباب ، كما أنَّ تلك العصرة كانت علة وفاتها أيضاً .

فضائلها : لا تُعد ، ولا تُحصى ، كيف وهي الصّديقة الكبرى ، والإنسية الحوراء ، والبتول العذراء ، ومحور أصحاب الكساء ، وشفيعة يوم الجزاء ، صلوات الله عليها ، وعلى أبيها ، وبعلها ، وبنيها .

= القبور ، فإذا جاء الليل ، أقبل أمير المؤمنين إليها ، وساقها بين يديه إلى منزلها . (بيت الأحزان : ص ١٣٦) .

٤ ـ الإمام الحسن المجتبى (ع)

إسمه الشريف : الحسن .

أشهر ألقابه : المجتبى .

أشهر كناه : أبو محمد الأول .

والده : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

والدته : فاطمة الزهراء (ع) .

ولادته : ولد في المدينة المنورة ، في ليلة الثلاثاء ، الخامس عشر من شهر رمضان المبارك ، السنة الثالثة من الهجرة النبوية .

وفاته : توفي ـ على قول ـ في السابع من شهر صفر ، وعلى قول آخر : في الثامن والعشرين من هذا الشهر ، وكلاهما مشهوران ، القول الأول معمول به عند العرب ، والثاني عند العجم ، يوم الخميس ، سنة خمسين ، بعد الهجرة .

علة وفاته : قضى سلام الله عليه مسموماً وشهيداً ، بمباشرة زوجته الملعونة بنت الأشعث ، أمرها وأغواها ، ومكر بها معاوية بن أبي سفيان . والقصة مشهورة[1] .

---

(١) قال عبد الوهاب النجار بعد عملية الصلح التي تمت بين الإمام الحسن (ع) ، ومعاوية : «تُرك الطلب بدم عثمان ، وسكنت الضوضاء ، وهذا يدل على أن الطلب بدم عثمان حجة داحضة ، وأن الغرض الحقيقي لمعاوية ومن معه ، إنما هو الملك ، لا طلب الثأر» (الخلفاء الراشدون : ص ٤٦٨) . وقد كان العرب يعدون دهاة العرب خمسة ، ومن بينهم معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة . وها هي امرأة الحسن (ع) ، جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي ، تسقي السم لزوجها ، ممزوجاً بالعسل ، وقد كان معاوية دس إليها : «إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمئة ألف درهم ، وزوجتك يزيد» ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه ، فلما مات (ع) ، وفى لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها : «إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك ، لوفينا لك بتزويجه» . وذكر أن الحسن (ع) ، قال عند موته ، وقد غلبت شربته ، وبلغ أمنيته : «والله لا وفى لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال» (مروج الذهب : ٣/١٨٢) . وخلف على جعدة هذه رجل من آل طلحة ، فأولدها ، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام ، عيَّروهم فقالوا : «يا بني مسمَّة الأزواج !» (وفيات =

مدفنه الشريف : دُفن (ع) ، بأرض (البقيع) ، في (المدينة المنورة) ، وقد مضى من عمره الشريف ستة وأربعون عاماً وأشهر .

= الأعيان : ٢/٦٦) . وتنخع الحسن (ع) الدم ، فدعا بطست ، فحمل بين يديه وهو مليء مما خرج من جوفه من الدم ، فقيل له : ما هذا يا بن رسول الله ! إني لأراك وجعاً ؟ قال : أجل ، دسَّ إليَّ هذا الطاغية ـ يعني معاوية ـ من سقاني سماً ، فقد وقع على كبدي ، وهو يخرج قطعاً كما ترى . قيل : أفلا تتداوى ؟ قال : قد سقاني مرتين ، وهذه الثالثة ، لا أجد لها دواء ، ولقد رُقي إليَّ : أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أنْ يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة ، فكتب إليه ملك الروم : «إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا !» فكتب إليه معاوية : «إن هذا ـ يعني الإمام الحسن (ع) ـ ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة ـ يعني النبي (ص) ـ وقد خرج يطلب ملك أبيه ، وأنا أريد أن أدسَّ إليه من يسقيه ذلك ، فأريح العباد والبلاد منه» ووجه إليه بهدايا وألطاف . فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دسَّ فيها ، فسُقيتُها (البحار : ٤٤/١٤٧ ـ الإحتجاج : ص ٢٩١) .

٥ - الإمام أبو عبد الله الحسين (ع)

إسمه الشريف : الحسين .

أشهر ألقابه : سيد الشهداء .

كنيته : أبو عبد الله .

والده : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

والدته : فاطمة الزهراء ، سلام الله عليها .

ولادته[1] : ولد في (المدينة المنورة) ، في ضحى

---

(١) مما علمه الإمام الصادق (ع) لصفوان بن مهران ، في (زيارة الأربعين) للإمام الحسين (ع) : «**أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك المدلهمات من ثيابها . . .**» (مصباح المتهجد : ص ٧٨٩) .

وعن أبي عبد الله (ع) ، قال : إنَّ الله عرض ولاية أمير المؤمنين (ع) ، فقبلها الملائكة ، وأباها ملك يقال له

الخميس ، الثالث من شعبان المعظم ، على القول المشهور .

= (فطرس) ، فكسر الله جناحه . فلما ولد الحسين بن علي (ع) ، بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمد (ص) يهنئه بولادته ، فمر بـ (فطرس) ، فقال له (فطرس) : إلى أين تذهب ؟ فقال : بعثني الله إلى محمد أهنئه بمولود له ولد في هذه الليلة . فقال له (فطرس) : إحملني معك ، وسل محمداً يدعو لي . فقال له جبرئيل : إركب جناحي . فركب جناحه ، فأتى محمداً (ص) ، فدخل عليه ، وهناه ، فقال له : يا رسول الله ! إنَّ (فطرس) بيني وبينه أخوة ، وسألني أنْ أسألك أنْ تدعو له أن يُردَّ عليه جناحه . فقال له رسول الله (ص) : يا فطرس ! أتفعل ؟ قال نعم . فعرض عليه رسول الله (ص) ولاية أمير المؤمنين (ع) ، فقبلها ، فقال رسول الله (ص) : شأنك والمهد ، فتمسح به ، وتمرغ فيه ! قال : فمشى (فطرس) إلى مهد الحسين بن علي (ع) ، ورسول الله (ص) يدعو له . قال رسول الله (ص) : فنظرت إلى ريشه ، وإنه ليطلع ، ويجري فيه الدم ، ويطول ، حتى لحق بجناحه الآخر ، وعرج جبرائيل إلى السماء ، وصار إلى موضعه . (مدينة المعاجز : ص ٢٣٦ ـ إثبات الوصية : ص ١٧٤ ـ البحار : ٤٤/١٨٢ و ٤٣/٢٤٣ ـ العوالم ، الإمام الحسين (ع) : ص ٤٧ ـ الخرائج والجرائح : ١/٢٥٢ ـ كامل الزيارات : ص ٦٦ ـ روضة الواعظين : ص ١٨٦ ـ مناقب آل أبي طالب : =

شهادته (ع)، وسببها[1]: قُتل واستشهد ، سلام الله عليه ، مظلوماً ، عطشاناً ، مع خاصته من أولاده ، وأخوانه[2] ، وبني عمومته وأصحابه ، ظلماً وعدواناً ، بأرض (كربلاء) .

= ٤/٧٤) . وقد أشار الشاعر إلى ذلك بقوله :

لمهدك آيات ظَهَرْنَ لفطرس وآية عيسى أن تكلم في المهد
فإن ساد في أم فأنت ابن فاطم وإن ساد في مهد فأنت أبو المهدي

(هداية الأبرار : ص ٢٧٧) .

(١) قال الحسين (ع) : «ألا وإنَّ الدعيَّ ابن الدعي ـ يعني يزيد ـ قد ركز بين اثنتين : بين السلَّة والذلة ، وهيهات منا الذلَّة يأبى الله ذلك لنا ، ورسوله ، والمؤمنون ، وجدود (حجوز ـ خ ل) طابت ، وحجز طهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أنْ تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . (بلاغة الحسين (ع) : ص ٧٩) . وقال (ع) : «لا والله لا أعطيهم بيد ي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد» . وقال (ع) : «. . . وأني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ، وشيعة أبي علي بن أبي طالب (ع) . (بلاغة الحسين (ع) : ص ٩٤) .

(٢) قال بشير بن حذلم : انفصل السبايا عائدين من =

. . . . . .

= (كربلاء) ، طالبين (المدينة) ، نزل علي بن الحسين (ع) ، فحط رحله ، وضرب فسطاطه ، وأنزل نساءه ، وقال : يا بشير ! رحم الله أباك ، لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ فقال : بلى يا بن رسول الله ، إني شاعر ، فقال (ع) : أدخل المدينة ، وانع أبا عبدالله (ع) .

قال بشير : فركبت فرسي ، وركضت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت مسجد النبي (ص) ، رفعت صوتي بالبكاء ، وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قُتل الحُسَيْنُ فأدمعي مدرارُ

الجسم منه بكربلاء مضرَّجٌ ... والرأس منه على القناة يُدارُ

قال ، ثم قلت : هذا علي بن الحسين (ع) مع عماته ، وأخواته ، قد حلّوا بساحتكم ، ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم ، أعرفكم مكانه .

فتقدمت إليه أُم البنين، وكان لها أربعة أولاد ، قتلوا مع الحسين (ع) ، فقال لها الناعي : عظَّم الله لك الأجر بولدك جعفر ! ، فقالت : أسألك عن سيدي ومولاي الحسين . فقال لها : عظم الله لك الأجر بولدك عثمان ! قالت : أسألك عن سيدي ومولاي الحسين . فقال لها : عظم الله لك الأجر =

نهض أبيَّ الضيم ، فرع الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، أبو عبدالله ، لحماية دين الله ، وحفظ شريعة جده رسول الله (ص) .

نهض بأبي وأمي ، تلك النهضة الرنانة ، وصال تلك

= بولدك عبدالله ! قالت : ويلك ! أسألك عن سيدي ومولاي الحسين ! ولم تكترث بأولادها ، فقال لها : عظم الله لك الأجر بولدك العباس ! فعند ذلك انكسر قلبها ، وقالت : ويلك لقد كسرت قلبي ، ولم تكن على يقين من قتل الحسين (ع) ، فقال لها : عظم الله لك الأجر بسيدك الحسين (ع) ! فعند ذلك صاحت : واسيداه ! واحسيناه ! واشهيداه ! واحبيباه ! ، وقالت :

ياناعي ابن رسول الله هجت لنا حزناً يؤجج في أحشائنا نارا

فما بقيت في المدينة مخدرة ، ولا محجبة ، إلا برزن من خدورهن ، مكشوفة شعورهن ، مخمشة وجوههن ، ضاربات خدودهن ، يدعون بالويل والثبور . فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ، ولا يوماً أمر على المسلمين منه . فكانت أم البنين تخرج كل يوم إلى البقيع ، ومعها عبيدالله ، ولد ولدها العباس ، فتندب أولادها الأربعة ، فيجتمع الناس يسمعون بكاءها ، وندبها . (أعلام النساء لكحالة : ٤/٤٠ ـ اللهوف : ص ٨٣ ـ أعيان الشيعة : ٤٢/٢٥٢) .

الصولة الفنانة ، ومزّق الأعداء كل ممزق ، وفرق جمعهم ، وشتت شملهم ، وأفناهم عن آخرهم ، ومحاهم عن صفحة البسيطة ، وأزال مساكنهم ، فقطع دابر الذين كفروا ، والحمد لله رب العالمين : ﴿**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار**﴾[1] .

لقد أخبر رسول الله (ص) ، عن الله ، تبارك وتعالى ، أهل بيته وخاصته بوقعة (كربلاء) ، وتضحية سبطه ، ومهجة قلبه ، وأنه سوف يروي أبو عبدالله ، بدمه الشريف ، ودماء أنصاره ، شجرة التّوحيد ، ويحيي شريعة جدّه ، بشهادته وشهادتهم ، عندما يريد أهل الشرك والنفاق ، قطع تلك الشجرة المباركة ، وإماتة الدين الحنيف .

مدفنه الشريف : كربلاء تلك التربة الطيبة ، الطاهرة ، والأر ض المقدسة ، التي قال في حقها رب السماوات والأرضين ، مخاطباً الكعبة ، حينما افتخرت على سائر البقاع : «قري واستقري ، لولا أرض كربلاء ، وما ضُمّنته ، لما خلقتك» .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٦ .

وكذلك أصبحت هذه البقعة المباركة ، بعد ما صارت مدفناً للإمام (ع) ، مـزاراً للمسلمين ، وكعبة للمـوحدين ، ومـطافـاً للملوك والسـلاطين ، ومسجـداً للمصلين : ﴿**في بيـوت أذن الله أن ترفـع ويذكـر فيها اسمـه يسبح لـه فيهـا بالغدو والأصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكـر الله وإقـام الصلاة وإيتـاء الزكـاة يخافـون يـومـاً تتقلب فيـه القلوب والأبصار * يجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيـدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[1] .

---

(١) سورة النور : الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

٦ـ الإمام علي بن الحسين (ع)

إسمه الشريف : علي .

كنيته : أبو الحسن .

أشهر ألقابه : السجَّاد ، وزين العابدين .

والده : الإمام أبو عبدالله الحسين (ع) .

والدته : شهربانو ، أو شاهزنان ، بنت الكسرى يزدجرد ، كما قال الفرزدق[1] :

---

(١) الفرزدق هذا هو أبو فراس ، همام بن غالب (ت ١١٠ هـ) ، وتنسب إليه مكرمة يُرجى له بها الجنة ، وهي : أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه ، فطاف ، وجهد أنْ يصل إلى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فنصب له منبر ، وجلس عليه ينظر إلى الناس ، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام . فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب =

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم

= (ع) ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم أرجاً ، فطاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر ، تنحَّى له الناس ، حتى استلم ، فقال رجل من أهل الشام : «من هذا الذي قد هابه الناس ، هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً ، فقال : أنا أعرفه ، فقال الشامي : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه ، والحل ، والحرمُ

ومنها :

إذا رأته قريش ، قال قائلها : إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يُنمى إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها ، عرب الإسلام والعجمُ
مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيمُ
هذا ابن فاطمة إنْ كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً ، وعظَّمه جرى بذاك له في لوحه القلم
من معشر حبهم دين ، وبغضهمُ كفر ، وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ، ومختوم به الكلم
من يعرف الله يعرف أولية ذا والدين من بيت هذا ناله الأمم

والقصيدة مشهورة جداً ، بلغت حد التواتر وذكرت في مصادر ومراجع كثيرة ، منها : (وفيات الأعيان : ٦/ ٩٥ ـ مرآة الجنان : ١/ ٢٣٩ ـ تذكرة الخواص : ص ٢٩٦ ـ شرح شواهد =

ولادته : يوم الخميس ، أو الأحد ، الخامس من شعبان ، على الأشهر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ، وتوفيت أمه ، رضوان الله عليها ، في أيام النفاس على الأصح .

وفاته : توفي مسموماً ، ليلة السبت ، الخامس والعشرين ، من المحرم سنة خمس وتسعين ، في (المدينة) .

مدفنه الشريف : دُفن (ع) ، في (البقيع) ، عند عمه المجتبى ، عليهما السّلام ، وقد مضى من عمره الشريف سبع وخمسون سنة ، وقد سمَّه هشام ابن عبد الملك ، وله كتاب سمي بـ (الصحيفة السجادية) ، وهي مجموعة أدعيته ومناجاته (ع) ، حيرت عقول الحكماء ، والعلماء ، ببلاغتها ، وغزارة معانيها ، فلذا عرفت بـ (أخت القرآن) ، وهي بعد (كتاب الله) ، وكتاب أمير المؤمنين (نهج البلاغة) ، أفضل الكتب الدينية ، والمؤلفات المذهبية ، وأعلاها ، وأغلاها .

---

* المغني : ص ٧٣٢ ـ شرح ديوان الحماسة : ٤/٨٢ ـ خزانة الأدب : ٤/٤٦١ ـ طبقات الشافعية : ١/١٥٤ ـ زهر الآداب : ١/٦٥ ـ الغيث المسجم : ٢/١٦٣ ـ تاريخ ابن كثير : ٩/١٠٨ ـ الصواعق المحرقة : ص ١٩٨) .

وكان له زوجة واحدة ، غيـر الإماء ، ومن الأولاد إثنـا عشر ذكراً ، وأربع أو سبع إناث .

٧ ـ الإمام محمد بن علي (ع)

إسمه الشريف : محمد .

كنيته : أبو جعفر .

لقبه : الباقر .

والده : الإمام علي بن الحسين، عليهما السلام .

والدته : فاطمة بنت الحسن المجتبى (ع) ، وقال في فضلها الإمام الصادق (ع) : «كانت صدّيقة ، ولم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها»[1] .

ولادته : وُلد ، سلام الله عليه ، في يوم الجمعة ، أو

---

(١) وقال المجلسي أعلى الله مقامه : «المراد بالصدّيقة هنا ، ليست المعصومة ، لعدم ثبوت العصمة في هذه الأمة ، لغير فاطمة الزهراء من النساء ، بل المراد المبالغة في صدقها قولاً وفعلاً (ا هـ) . (راجع تراجم أعلام النساء : ٢/٢٩٨) .

الثلاثاء ، غرة رجب المرجب ، سنة سبع وخمسين من الهجرة .

وفاته : توفي مسموماً ، صباح السبت ، أو الإثنين ، في السابع من ذي الحجة ، سنة مئة وإثنتي عشرة ، وله من العمر سبع وخمسون سنة ، وأشهر . وقد سمَّه هشام بن عبد الملك بن مروان .

مدفنه الشريف : دُفن (ع) ، في (البقيع) ، عند عمه وأبيه ، سلام الله عليهم أجمعين .

عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، رضوان الله عليه ، قال :

قال لي رسول الله (ص) : «يا جابر ! يوشك أنْ تبقى ، حتى تلقى ولداً لي من الحسين ، يقال له محمد ، يبقر علم الدين بقراً[1] ، فإذا لقيته ، فاقرأه مني

---

(١) الحديث عن جابر مع الإمام محمد بن علي (ع) ، مشهور ، معروف ، يرويه الخاص والعام ، رواه فقهاء أهل المدينة ، وأهل العراق ، ويروى عن كبرائهم ، ويرويه أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وغيرهم ، ويقرون بفضله ، وعلمه ، ومنه أخذوا ، ويقولون : كان أفقه أهل زمانه ، وعنه أخذ ظاهر علم الحلال والحرام أهل الفقه من الخواص =

. . . . . .

= والعوام ، وسمي باقر العلم ، لأنه أول من بقر عنه من الأئمة من آل محمد (ص) ، فأظهره . وذلك أنه وجد في الزمان ليناً من بني أمية ، لقرب انقطاع مدتهم ، وضعف أمرهم ، ولشغل من بقي منهم بلهوهم وآثامهم ، وفيه يقول القرطي ، وقيل للإمام الرضا (ع) :

يا باقر العلم لأهل الهدى وخير من لبَّى على الأجبل

● قال عبد الله بن عطا المكي : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر ، محمد بن علي (ع) ، لتواضعهم له ، ومعرفتهم بحقه وعلمه ، واقتباسهم منه ، ولقد رأيت الحكم بن عيينة ، على جلالته في الناس ، وسنه ، وهو بين يديه ، يتعلم منه ، ويأخذ عنه ، كالصبي بين يدي المعلم .

● وقال محمد بن المنكدر : خرجت إلى بعض نواحي المدينة ، في ساعة حارة ، فلقيني أبو جعفر ، وكان رجلاً بديناً ، ثقيل الجسم ، وهو معتمد على غلامين له أسودين . فقلت في نفسي : شيخ من أشياخ قريش ، في هذه الساعة ، على هذه الحال ، في طلب الدنيا ، لأعظنَّه ! فدنوت منه ، فسلمت عليه ، ورأيته قد انصب عرقاً ، فقلت له : أصلحك الله ! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة ، على هذه الحال =

. . . . . .

= في طلب الدنيا ، أرأيت لو جاءك الموت ، وأنت على هذه الحال ؟ قال : فخلّى الغلامين من يديه ، ثم تسانـد إلى حائط ، وقال : لو جاءني الموت ، وأنا على هذه الحال ، جاءني وأنا على طاعة من طاعات الله ، عز وجل ، أكف بها نفسي وأهلي ، عنك وعن الناس ، وإنما كنت أخاف لو جاءني ، وأنا على معصية من معاصي الله ، عز وجل ! قلت : رحمك الله ، لأردت أن أعظك ، فوعظتني ! (عيون الأخبار : ص ٢١٤) .

● لقب الباقر ، من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً ، وقد لقب هو وولده الإمام الصادق (ع) ، بـ (الباقرين) ، كما لقبا بـ (الصادقين) ، من باب التغليب . ويكاد يجمع المؤرخون والمترجمون للإمام على أنه إنما لقب بـ (الباقر) ، لأنه بقر العلم : أي شقه ، وتوسع فيه ، فعرف أصله ، وعلم خفيه ، وكأنهم نظروا في ذلك إلى ما أثر عنه (ع) ، من سعة العلوم والمعارف ، فجعلوا هذا اللقب مشعراً بها . وقيل إنما لقب به لكثرة سجوده ، فقد بقر جبهته : أي فتحها ووسعها . وقيل إنما لقب بذلك لقوله (ع) : «استصرخني الحق ، وقد حواه الباطل في جوفه ، فبقرت عن خاصرته ، وأطلعت الحق من حجبه ، حتى ظهر ، وانتشر بعد ما خفي» . ولكن المشهور والذائع بين المؤرخين هو المعنى الأول دون غيره . (حياة =

السلام»[1] .

كان له من البنين خمسة ، ومن البنات اثنتان ، ومن الأزواج زوجتان ، غير الإماء .

= الإمام الباقر للقرشي : ١/٢٢ ـ مجمع البحرين : ٣/٢٢٨ ـ علل الشرائع : ١/٢٣٣ ـ معاني الأخبار : ص ٦٥ ـ البحار : ٤٦/٢٢١ كشف الغمة : ٢/٣١٨ ـ القاموس المحيط : مادة (بقر) ـ الفصول المهمة : ص ١٩٧ ـ صحاح الجوهري : ص ٥٩٤ ـ حلية الأولياء : ٣/١٨٦) .

(١) حلية الأبرار : ٢/٨٧ . البحار : ٣٦/٣٨٩ . عيون الأخبار وفنون الآثار : السبع الرابع صفحة ٢١٢ .

٨ ـ الإمام جعفر بن محمد (ع)

إسمه الشريف : جعفر .

كنيته : أبو عبد الله الثاني .

لقبه : الصادق .

والده : الإمام محمد الباقر (ع) .

والدته : أم فروة ، بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكانت من أفضل نساء زمانها ، وأزهدهن .

ولادته : وُلد في فجر يوم الجمعة ، السابع عشر ، من شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث وثمانين من الهجرة .

وفاته : توفي مساء الإثنين ، الخامس والعشرين ، من شهر شوال ، سنة مئة وثمانية وأربعين ، بعد الهجرة ، وله من العمر خمس وستون سنة وأشهر . سمَّه المنصور الدوانيقي .

مدفنه الشريف : دُفن (ع)، في(البقيع)، عند جده،

وأبيه ، وعمه الحسن المجتبى ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان له من البنين سبعة ، ومن البنات ثلاثة ، ومن النساء زوجة وسراري .

ولقد تمتع الإسلام والمسلمون ، في زمانه ، بالمعارف الإلهية ، والحكم النبوية ، والأسرار العلوية ، والحقائق الدينية من الأصول والفروع ، في مكتبه ومدرسته ، بعد ما كان محظوراً في عصر الأمويين الغاصبين الظالمين .

قصده الطالبون[1] من مختلف البلاد والأقاليم حتى اجتمع في محضره أربعة آلاف طالب علم ، فألقى

---

(١) أجمع المؤرخون والمترجمون ، أنه لم ينقل عن أحد من سائر العلوم ، ما نقل عن الإمام الصادق (ع) ، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات ، فكانوا أربعة آلاف رجل . والحقيقة إنَّ مدرسة الإمام جعفر الصادق (ع) ، الفكرية قد أنجبت خيرة المفكرين ، وصفوة الفلاسفة ، وجهابذة العلماء لذلك فإنَّ الحضارة الإسلامية والفكر العربي ، مدينان لهذه المدرسة الفكرية ، بالتطور ، والرقي ، والخلود ، ولعميدها الإمام الصادق (ع) ، بالمجد العلمي ، والتراث الثمين .

أما تلامذته فقد كانوا من مختلف الأقطار الإسلامية ، على =

عليهم ، سلام الله عليه ، من غوامض الحكم ، وحقائق العلوم ، وأظهر ما أخفى آباؤه وأجداده ، خوفاً من فراعنة بني أمية .

= اختلاف آرائهم ومعتقداتهم ، ومنهم من اشتهر بالعلم ، وخرَّج حديثه أصحاب الصحاح كالبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأصحاب السنن ، وأنَّ منهم من أصبحوا رؤساء طوائف ، وأئمة مذاهب ، كأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) ، صاحب المذهب المنسوب إليه ، وقد اشتهر قوله : «ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد» ، وقوله : «لولا السنتان لهلك النعمان» . ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ، رئيس المذهب المنسوب إليه ، وكانت له صلة تامة بالإمام الصادق (ع) ، وروى الحديث عنه ، واشتهر قوله : «ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمد» . ومن تلاميذه أيضاً سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) ، وشعبة بن الحاج بن الورد العتكي (ت ١٦٠ هـ) ، خرج له أصحاب الصحاح والسنن ، وروى عنه خلق كثير . قال الشافعي : «لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق» ، وقال أحمد بن حنبل : «شعبة أمة وحده» . (لولا السنتان : ص ٢٩٨ ـ الإمام الصادق (ع) لمحمد حسين المظفر : ص ١٣٨ ـ الإمام الصادق (ع) لمحمد جواد فضل الله : ص ٢٧١ ـ البحار : ٢١٣/٤٧) .

ففي أواخر الدولة الأموية وضعفهم ، وأوائل الخلافة العباسية وغفلتهم ، أشرف الحق على حريته قليلاً ، وحصلت فترة صغيرة للظلم ، والجور ، والضغط على أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الوحي ، فاغتنم الإمام هذه الفرصة الثمينة ، فتصدى لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، فشرع بترويج حقائق الشريعة ، وإظهار أسرارها ، وبيان رموزها ، ونشر أحكامها ، حتى أشرقت شمس الهداية على البلاد ، وسطع نور العلم على العباد ، من الحاضر والباد ، وكل أخذ على قدر ذوقه ، واستعداده ، واشتياقه ، من الحكمة ، والفقه ، والأخلاق ، ومن أنواع العلوم الغريبة كالجفر ، والكيمياء[1] ، وغيرها .

---

(١) ذكر علم الصادق (ع) بالكيمياء كثير من المؤلفين ، وإن تلميذه جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي (ت حوالي ١٩٠ هـ) ، أخذ عنه هذا العلم ، وألف خمسمئة رسالة فيه ، في ألف ورقة ، وهي تتضمن رسائل جعفر الصادق (ع) . والقدماء والمتأخرون من المستشرقين والمترجمين والأعلام ذكروا أبو موسى جابر بن حيان الطرطوسي ، حيث ذكره ابن النديم في (الفهرست : ص ٤٩٨) ، وأطال فيه الكلام ، وذكر له من الكتب ، والرسائل ، في مختلف العلوم ، لا سيما =

وإن كان في أواخر عمره الشريف (ع) ، حسده المنصور ، وشدد عليه الضّغط ، ولم يترك له مجالاً للتدريس والتعليم ، ولكنه ، سلام الله عليه ، قد استوفى حظه في تلك الفترة ، وسدل أشعة معارفه على مشارق الأرض ومغاربها ، وأرسل عنوان التشيع إلى شعوب الأُمة وقبائلها ، ومن هنا سميت الشيعة الإثنا عشرية

= الكيمياء ، والطب والفلسفة ، والكلام ، شيئاً كثيراً ، لا يكاد يتسع وقت الإنسان ، في العمر الطبيعي لتأليفها ، نعم ، إلا الأفذاذ في الدهر ، منحوا ذكاء وفطنة ، مفرطين ، وانكبوا على الكتابة والتأليف ، وذكروا أن لجابر تآليف على مذهب المسلمين الشيعة ، ومن ثم استظهر تشيعه ، ولعلَّ أخذه عن الصادق (ع) ، وائتمان الصادق به على هذا العلم ، شاهد على تشيعه ، لأن أخذه عنه كان كإمام مفترض الطاعة ، متبع الرأي . وقد أكبر مؤلفو الإسلام منزلة جابر ، وعدوه مفخرة من مفاخر الإسلام . (الإمام الصادق (ع) لمحمد الحسين المظفر : ١/١٨٣ ـ فوات الوفيات : ١/٢٧٥ ـ وفيات الأعيان : ١/٣٢٧ ـ الوافي بالوفيات : ١١/٣٤ ـ الفهرست لابن النديم : ص ٤٩٨ ـ طبقات الأمم : ص ٦١ ـ سرح العيون : ص ٢٢٥ ـ الأعلام : ٢/٩٠ ـ معجم المؤلفين : ٣/١٠٥ ـ أخبار الحكماء : ص ١١١) .

بـ (الجعفـريـة) ، وأصبـح رئيسـاً للمـذهب ، صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطيبين ، وأبنائه الـطاهرين ، وأصحـابه المكملين ، وشيعتــه المقهــورين ، أجمعين ، مــا دامت السماوات والأرضين .

٩ـ الإمام موسى بن جعفر (ع)

إسمه الشريف : موسى .

كنيته : أبو الحسن الأول .

أشهر ألقابه : الكاظم .

والده : الإمام جعفر الصادق (ع) .

والدته : حميدة البربرية .

ولادته : ضحوة الأحد ، السابع من شهر صفر المظفر، سنة مئة وثمانية وعشرين من الهجرة ، في (الأبواء) بين الحرمين .

وفاته : ليلة الجمعة ، الخامس والعشرون من شهر رجب المرجَّب ، سنة مئة وثلاثة وثمانين من الهجرة . سمَّه الرشيد العباسي ، وارتحل إلى جوار ربّه ، في سجنه بـ (بغداد) .

مدفنه الشريف : دُفن (ع)، في (مقابر قريش) المعروفة اليوم بـ (الكاظمية)[1] .

---

(١) عن عمرو بن واقد ، قال : إنَّ هارون الرشيد ، لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (ع) ، وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم في السر إليه ، بالليل والنهار ، خشية على نفسه وملكه ، ففكر في قتله بالسّم ، فدعا برطب ، وأكل منه ، ثم أخذ صينية فوضع عليها عشرين رطبة ، وأخذ سلكاً فعركه في السّم ، وأدخله في سمّ الخياط ، فأخذ رطبة من ذلك الرطب ، فأقبل يردد إليها ذلك السّم بذلك الخيط ، حتى قد علم أنه قد حصل السّم فيها ، فاستكثر منه ، ثم ردها في ذلك الرطب ، وقال لخادم له : إحمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر ، وقل له : إنَّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب ، وتنغص لك ما به ، وهو يقسم عليك بحقه لما أكلتها عن آخر رطبة ، فإني اخترتها لك بيدي ، ولا تتركه يبقي منها شيئاً ، ولا تطعم منه أحداً ! ، فأتاه بها الخادم ، وأبلغه الرسالة .

فقال له : إئتني بخلال ، فناوله خلالاً ، وقام بإزائه وهو يأكل من الرطب ، وكانت للرشيد كلبة تعزّ عليه ، فجذبت نفسها ، وخرجت تجرّ سلاسلها من ذهب وجوهر ، حتى حاذت موسى بن جعفر ، عليه السلام ، فبادر وغرز الخلال في رطبة ، من ذلك الرطب ، فرمى بها ، فأكلتها الكلبة ، =

. . . . . .

= فتهـرَّت ، فلم تلبث أن ضـربت بنفسهـا الأرض ، وعـوت وتهرَّت ، قطعة قطعة ، واستوفى (ع) ، باقي الرطب ، وحمـل الغـلام الصينية ، حتى صـار بها إلى الـرشيد ، فقـال له : قـد أكل الرطب عن آخـره ؟ قال : نعم يـا أمير المؤمنين ، قـال : فكيف رأيته ؟ قال : ما أنكرت منـه شيئاً يـا أمير المؤمنين ، ثم قال : ثم ورد عليه خبر الكلبة ، بأنها قد تهرَّت ومـاتت ، فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً ، واستعظمـه ، ووقف على الكلبة ، فوجدها متهرية بالسّم ، فأحضر الخادم ، ودعا بسيف ونـطع ، وقال له : لتصدقني عن خبر الرطب ، أو لأقتلنك ! فقـال له : يـا أمير المؤمنين ! إني حملت الـرطب إلى موسى بن جعفـر ، وأبلغته سلامك ، وقمت بإزائـه ، وطلب مني خلالاً ، فـدفعته إليه ، فأقبل يغرز في الرطبة بعد الرطبة ، ويأكلها ، حتى مرت الكلبة ، فغرز الخلال في رطبة من ذلك الرطب ، فـرمى بها ، فأكلتها الكلبة ، وأكل هو باقي الرطب ، فكان مـا ترى يـا أمير المؤمنين .

فقال الرشيـد : ما ربحنـا من موسى إلا أنَّـا أطعمناه جيـد الرطب ، وضيَّعنا سُمَّنا ، وقتلنا كلبتنا ، ما في موسى بن جعفر حيلة !

ثم إنَّ سيدنا موسى (ع) دعا بالمسيب ، وذلك قبـل وفاتـه بثـلاثة أيـام ، وكان مـوكلاً بـه ، فقال لـه : يا مسيَّب ! قـال : =

. . . . . .

= لبيك يا مولاي ، قال : إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة ، مدينة جدي رسول الله (ص) ، لأعهد إلى علي إبني ما عهده إلى أبي ، وأجعله وصيي وخليفتي ، وآمره أمري .

قال المسيب : فقلت يا مولاي ! كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها ، والحرس معي على الأبواب ؟ فقال : يا مسيب ضعف يقينك بالله ، عز وجل ، وفينا ؟! قلت : لا يا سيدي ، قال : فمه ! قلت : يا سيدي ! أدع الله أن يثبتني ، فقال : اللهم ثبته ! ثم قال : إني أدعو الله ، عز وجل ، باسمه العظيم ، الذي دعا به آصف حتى جاء بسرير بلقيس ، ووضعه بين يدي سليمان ، قبل ارتداد طرفه إليه ، حتى يجمع بيني وبين إبني علي بالمدينة .

قال المسيب : فسمعته (ع) يدعو ، ففقدته عن مصلاه ، فلم أزل قائماً على قدمي ، حتى رأيته قد عاد إلى مكانه ، وأعاد الحديد إلى رجليه ، فخررت لله ساجداً لوجهي ، شكراً على ما أنعم به عليَّ من معرفته .

فقال لي : إرفع رأسك يا مسيب ، واعلم إني راحل إلى الله ، عز وجل ، في ثالث هذا اليوم .

قال : فبكيت ، فقال لي : لا تبك يا مسيب ، فإنَّ علياً إبني هو إمامك ومولاك بعدي ، فاستمسك بولايته ، فإنك لن =

. . . . . .

= تضل ما لزمته ، فقلت : الحمد لله ، قال : ثم إنَّ سيدي (ع) دعاني في ليلة اليوم الثالث ، فقال لي : إني على ما عرَّفتك من الرحيل إلى الله ، عز وجل ، فإذا دعوت بشربة من ماء ، فشربتها ، ورأيتني قد انتفخت ، وارتفع بطني ، واصفرَّ لوني ، واحمرّ ، واخضرّ ، وتلوَّن ألواناً ، فخبّر الطاغية بوفاتي ، فإذا رأيت بين هذا الحدث ، فإياك أن تظهر عليه أحداً ، ولا على من عندي ، إلا بعد وفاتي .

قال المسيب بن زهير : فلم أزل أرقب وعده ، حتى دعا (ع) بالشربة ، فشربها ، ثم دعاني ، فقال لي : يا مسيب ! إنَّ هذا الرّجس السندي بن شاهك ، سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني ، هيهات هيهات أنْ يكون ذلك أبداً ! فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بـ (مقابر قريش) ، فالحدوني بها ، ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع ، مفرجات ، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً ، لتتبركوا به ، فإنَّ كل تربة لنا محرَّمة ، إلا تربة جدي الحسين بن علي (ع) ، فإنَّ الله تعالى جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا .

قال : ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به ، جالساً إلى جانبه ، وكان عهدي بسيدي الرضا (ع) ، وهو غلام ، فأردت سؤاله ، فصاح بي سيدي موسى (ع) ، فقال : أليس قد نهيتك يا مسيب ؟ فلم أزل صابراً حتى مضى وغاب =

وكان له من البنين ثلاثة وعشرون ، ومن البنات سبع وثلاثون ، وعلى قول ثمانية عشر من البنين ، وتسع عشرة من البنات .

اشتد الضغط عليه بعد أبيه ، عليهما السلام ، من جهة الدولة العباسية ، فتحيَّر الشيعة في معرفة الإمام ، وكثرت الدعايات :

فمنهم من قال بإمامة أخيه إسماعيل الذي مات في

= الشخص ، ثم أنهيت الخبر إلى الرشيد ، فوافى السندي بن شاهك ، فوالله لقد رأيتهم بعيني ، وهم يظنون أنهم يغسلونه ، فلا تصل أيديهم إليه ، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه ، وأراهم لا يصنعون به شيئاً ، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله ، وتحنيطه ، وتكفينه ، وهو يظهر المعاونة لهم ، وهم لا يعرفونه ، فلما فرغ من أمره ، قال لي ذلك الشخص : يا مسيب ! مهما شككت فيه ، فلا تشكَّنَّ فيَّ ، فإني إمامك ، ومولاك ، وحجة الله عليك بعد أبي عليه السلام . يا مسيب ! مثلي مثل يوسف الصديق (ع) ، ومثلهم مثل أخوته ، حين دخلوا عليه ، فعرفهم وهم له منكرون .

ثم حمل ، عليه السلام ، حتى دفن في (مقابر قريش) ، ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به ، ثم رفعوا قبره بعد ذلك ، وبنوا عليه» (عيون أخبار الرضا : ١/٨٢ ـ ح ٦) .

حياة والده الهمام .

ومنهم من قال بإمامة أخيه الأكبر عبدالله الأفطح .

ولكن الأكثرية اجتمعت على إمامته بتبليغ من خواص أبيه الذين عرفوه بنص من آبائه وأجداده الطاهرين ، والذين شهدوا منه من الآيات والكرامات .

فأما (الفطحية)[1] فقد انقرضوا ، ولم يبق لهم أثر .

وأما (الإسماعيلية) فاستفحلوا في عصر ملوك الفاطميين ، في أنحاء البلاد الإسلامية ، وكان منهم وزير ، وأمير ، في زمان سلاطين السلاجقة ، بـ (إيران) ، أمثال حسن الصباح ، وفتكوا بالمسلمين ،

---

(١) الفطحية : فرقة من الإمامية ، قال هؤلاء إن الإمامة لم تنتقل من الصادق (ع) إلى ولده إسماعيل ، ولا إلى ولده موسى الكاظم (ع) ، بل إلى ولده الأكبر وهو عبد الله الأفطح (ت ١٤٨ هـ) . ولقب بالأفطح لأنه أفطح الرأس ، أي ذو رأس عريض ، أو لأنه أفطح الرجلين ، وهو أن يرتفع أخمص قدمه ، حتى لو وطىء عصفوراً ما آذاه . ويقال لهذه الفرقة (الأفطحية) ، وهم من الفرق البائدة ، ولا يوجد منهم أحد (معجم الفرق الإسلامية : ٤١ و ١٨٦) .

وقتلوا كثيـراً من رؤسـائهم ، ولكن خمـدت بعـد ذلـك نيرانهم ، وانكسرت شوكتهم ، وقلَّ عددهم ، وبقيت منهم طوائف حتى اليوم في (باكستان) ، وغيرها من البلدان .

١٠ـ الإمام علي بن موسى (ع)

إسمه الشريف : علي .

كنيته : أبو الحسن الثاني .

أشهر ألقابه : الرضا ، والضامن .

والده : الإمام موسى بن جعفر (ع) .

والدته : نجمة ، المكناة بـ (أم البنين) .

ولادته : ضحى الجمعة ، أو يوم الخميس ، الحادي عشر من ذي القعدة ، سنة مئة وثمانية وأربعين ، أو مئة وثلاثة وخمسين من الهجرة ، بـ (المدينة المنورة) .

وفاته[١] : في ظهر يوم الجمعة ، السابع عشر من

---

(١) عن أبي الصلت الهروي ، قال : «بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن الرضا (ع) ، إذ قال لي : يا أبا الصلت ! أدخل هذه القبة التي فيها قبر هارون ، وائتني بتراب من أربعة جوانبها . قال : فمضيت ، فأتيت به ، فلما مثلت بين يديه ،

. . . . . .

= قال لي : ناولني هذا التراب ، وهو من عند الباب ، فناولته ، فأخذه وشمَّه ، ثم رمى به ، ثم قال : سيحفر لي ها هنا ، فتظهر صخرة ، لو جمع عليها كل معول بـ (خراسان) ، لم يتهيأ قلعها . ثم قال في الذي عند الرجل ، والذي عند الرأس مثل ذلك . ثم قال : ناولني هذا التراب ، فهو من تربتي ، ثم قال : سيحفر لي في هذا الموضع ، فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراق إلى أسفل ، وأن يشق لي ضريحة ، فإن أبوا إلا أن يلحدوا ، فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً ، فإنَّ الله سيوسعه ما يشاء ، فإذا فعلوا ذلك ، فإنك ترى عند رأسي نداوة ، فتكلم بالكلام الذي أعلمك ، فإنه ينبع الماء حتى يمتلي اللحد ، وترى فيه حيتاناً صغاراً ، ففتَّ لها الخبز الذي أعطيك ، فإنها تلتقطه ، فإذا لم يبق منه شيء ، خرجت منه حوتة كبيرة ، فالتقطت الحيتان الصغار ، حتى لا يبقى منها شيء ، ثم تغيب ، فإذا غابت ، فضع يدك على الماء ، ثم تكلم بالكلام الذي أعلمك ، فإنه ينضب الماء ، ولا يبقى منه ، ولا تفعل ذلك إلا بحضرة المأمون .

ثم قال (ع) : يا أبا الصلت ! غداً أدخل على هذا الفاجر ، فإن أنا خرجت ، وأنا مكشوف الرأس ، فتكلم أكلمك ، وإن أنا خرجت ، وأنا مغطى الرأس ، فلا تكلمني . =

. . . . . .

= قال أبو الصلت : فلما أصبحنا من الغد ، لبس ثيابه ، وجلس ، فجعل في محرابه ينتظر . فبينما هو كذلك ، إذ دخل عليه غلام المأمون ، فقال له : أجب أمير المؤمنين . فلبس نعله ورداءه ، وقام يمشي وأنا أتبعه ، حتى دخل على المأمون ، وبين يديه طبق عليه عنب ، وأطباق فاكهة ، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه ، وبقي بعضه . فلما أبصر بالرضا (ع) ، وثب إليه فعانقه ، وقبل ما بين عينيه ، وأجلسه معه ، ثم ناوله العنقود ، وقال : يا بن رسول الله ! ما رأيت عنباً أحسن من هذا ! فقال له الرضا (ع) : ربما كان عنباً حسناً ، يكون من الجنة ! فقال له : كل منه . فقال له الرضا (ع) : تعفيني منه . فقال : لا بدَّ من ذلك ، وما يمنعك منه ، لعلك تتهمنا بشيء ؟! فتناول العنقود ، فأكل منه ، ثم ناوله فأكل منه الرضا (ع) ، ثلاث حبات ، ثم رمى به وقام ، فقال المأمون : إلى أين ؟ فقال : إلى حيث وجهتني !

فخرج ، عليه السلام ، مغطى الرأس ، فلم أكلمه حتى دخل الدار ، فأمر أنْ يغلق الباب ، فغلق ، ثم نام (ع) ، على فراشه .

ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً ، محزوناً ، فبينما أنا كذلك ، إذ دخل عليَّ شاب حسن الوجه ، قطط الشعر ، =

. . . . . .

= أشبه الناس بالرضا (ع) ، فبادرت إليه ، فقلت له : من أين دخلت والباب مغلق ؟! فقال : الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت ، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق . فقلت له : ومن أنت ؟ فقال لي : أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت ، أنا محمد بن علي .

ثم مضى نحو أبيه (ع) ، فدخل ، وأمرني بالدخول معه ، فلما نظر إليه الرضا (ع) ، وثب إليه ، فعانقه ، وضمَّه إلى صدره ، وقبَّل ما بين عينيه ، ثم سحبه سحباً إلى فراشه ، وأكبَّ عليه محمد بن علي (ع) ، يقبله ويسارّه بشيء لم أفهمه ، ورأيت على شفتي الرضا (ع) زبداً أشدَّ بياضاً من الثلج ، ورأيت أبا جعفر (ع) ، يلحسه بلسانه ، ثم أدخل يده بين ثوبيه وصدره ، فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور ، فابتلعه أبو جعفر (ع) ، ومضى الرضا (ع) ، فقال أبو جعفر (ع) : قم يا أبا الصلت ، إيتني بالمغتسل والماء من الخزانة . فقلت : ما في الخزانة مغتسل ولا ماء ! فقال لي : إيته إليّ ما آمرك به . فدخلت الخزانة ، فإذا فيها مغتسل وماء ، فأخرجته وشمرت ثيابي لأغسله ، فقال لي : تنحَّ يا أبا الصَّلت ، فإنَّ لي من يعينني غيرك ! فغسله ثم قال لي : أدخل الخزانة فأخرج إليَّ السفط الذي فيه كفنه وحنوطه . فدخلت ، فإذا أنا =

. . . . . .

= بسفط لم أره في تلك الخزانة قط ، فحملتُهُ إليه ، فكفنه وصلى عليه ، ثم قال لي : إيتني بالتابوت ، فقلت : أمضي إلى النجار حتى يصلح التابوت ! قال : قم فإنَّ في الخزانة تابوتاً . فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قط ، فأتيته به ، فأخذ الرضا (ع) ، بعد ما صلَّى عليه ، فوضعه في التابوت ، وصفَّ قدميه ، وصلى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت ، وانشق السقف ، فخرج منه التابوت ومضى .

فقلت : يا بن رسول الله ! الساعة يجيئنا المأمون ، ويطالبنا بالرضا (ع) ، فما نصنع ؟ فقال لي : أسكت فإنه سيعود يا أبا الصَّلت ، ما من نبي يموت بالمشرق ، ويموت وصيه بالمغرب إلا جمع الله بين أرواحهما وأجسادهما .

وما أتم الحديث حتى انشق السقف ، ونزل التابوت ، فقام (ع) ، فاستخرج الرضا (ع) ، من التابوت ، ووضعه على فراشه ، كأنه لم يغسل ، ولم يكفن ، ثم قال لي : يا أبا الصلت ! قُم فافتح الباب للمأمون .

ففتحت الباب ، فإذا المأمون والغلمان بالباب ، فدخل باكياً حزيناً ، قد شق جيبه ، ولطم رأسه ، وهو يقول : يا سيداه ! فجعت بك يا سيدي ! ثم دخل فجلس عند رأسه ، وقال : خذوا في تجهيزه . =

. . . . . .

= فأمر بحفر القبر ، فحفرت الموضع ، فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا (ع) ، فقال له بعض جلسائه : ألست تزعم أنه إمام ؟ فقال : بلى لا يكون الإمام إلا مقدم الناس . فأمر أنْ يحفر له في القبلة ، فقلت له : أمرني أن يحفر له سبع مراق ، وأن أشق له ضريحة ، فقال : انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصَّلت سوى الضريح ، ولكن يحفر له ويلحد .

فلما رأى ما ظهر له من النداوة ، والحيتان ، وغير ذلك ، قال المأمون : لم يزل الرضا (ع) يرينا عجائبه في حياته ، حتى أراناها بعد وفاته أيضاً ! فقال له وزير كان معه : أتدري ما أخبرك به الرضا (ع) ؟ قال : لا . قال : إنه قد أخبرك أنَّ ملككم يا بني العباس ، مع كثرتكم ، وطول مدتكم ، مثل هذه الحيتان ، حتى إذا فنيت آجالكم ، وانقطعت آثاركم ، وذهبت دولتكم ، سلط الله تعالى عليكم رجلاً منَّا ، فأفناكم عن آخركم .

قال له : صدقت . ثم قال لي : يا أبا الصَّلت ! علمني الكلام الذي تكلمت به . قلت : والله لقد نسيت الكلام من ساعتي ، وقد كنت صدقت فأمر بحبسي ، ودفن الرضا (ع) ، فحبست سنة ، فضاق عليَّ الحبس ، وسهرت الليلة ، ودعوت الله ، تبارك وتعالى ، بدعاء ذكرت فيه محمداً وآل محمد ، =

شهر صفر المظفَّر ، أو في آخره ، وكلا القولين قويان ، فمن عمل بنذره في أيهما شاء ، برئت ذمته .

وقد سمَّه المأمون العباسي بعنب أو رمان في (خراسان) .

مدفنه الشريف : دُفن (ع)، في (سناباد طوس) المعروف الآن بـ (المشهد المقدس) سنة مئتين وثلاثة من الهجرة .

وعلى قول ، كان له من البنين خمسة ، ومن البنات واحدة ، ومن الأزواج زوجة وسراري ، وقد توقف بعض

= صلوات الله عليهم ، وسألت الله بحقهم أنْ يفرّج عني ، فما استتم دعائي حتى دخل عليَّ أبو جعفر ، محمد بن علي (ع) ، فقال لي :

يا أبا الصَّلت ! ضاق صدرك ؟ فقلت : أي والله . قال : قم، فأخرجني ، ثم ضرب يده إلى القيود التي كانت عليَّ ، ففكها ، وأخذ بيدي ، وأخرجني من الدار والحرسة والغلمان يروننني ، فلم يستطيعوا أنْ يكلموني ، وخرجت من باب الدار .

ثم قال لي : إمض في ودائع الله ، فإنك لن تصل إليه ، ولا يصل إليك أبداً . فقال أبو الصلت : فلم ألق المأمون إلى هذا الوقت» . (عيون أخبار الرضا : ٢/٢٤٤) .

وكلاء والده الهمام في إمامته ، وأنكروها طمعاً في حقوق اجتمعت عندهم من الشيعة ، وتبعهم جماعة من دون بصيرة ، وسموا بـ (الواقفية) ، ولكن انقرضوا قبل أن يستفحلوا .

وامتاز ، سلام الله عليه ، عن آبائه الطيبين ، وأجداده الطاهرين ، بزواره ، فلا يزوره إلا الخواص من الشيعة[1] ، أعني الاثني عشرية ، لأنَّ المعترف بإمامته ، معترف بإمامة الأئمة من بعده ، ولم يشذ منهم أحد .

---

(١) عن عبد السلام بن صالح الهروي ، قال : «دخل دعبل بن علي الخزاعي (ره) على عليّ بن موسى الرضا (ع) ، بـ (مرو) ، فقال له : يا بن رسول الله ! إني قد قلت فيك قصيدة ، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك ، فقال (ع) : هاتها . فأنشده :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا (ع) ، وقال له : صدقت يا خزاعي ، فلما بلغ إلى قوله :

إذا وُتروا مدوا إلى واتريهمُ أكفَّاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن (ع) يقلب كفَّيه ، ويقول : «أجل والله =

. . . . . .

= منقبضات !» فلما بلغ إلى قوله :

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا (ع) : آمنك الله يوم الفزع الأكبر ! فلما انتهى إلى قوله :

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا (ع) : أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟ فقال : بلى ، يا بن رسول الله ، فقال (ع) :

وقبر بطوس ، يالها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهمّ والكربات

فقال دعبل : يا بن رسول الله ! هذا القبر الذي بـ (طوس) ، قبر من هو ؟ فقال الرضا (ع) : «قبري ، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير (طوس) مختلف شيعتي وزواري ، **ألا فمن زارني في غربتي بـ (طوس) كان معي في درجتي يوم القيامة ، مغفوراً له . . .**» (عيون أخبار الرضا (ع) : ٢/٢٦٧) .

١١ـ الإمام محمد بن علي (ع)

إسمه الشريف : محمد .

كنيته : أبو جعفر الثاني .

أشهر ألقابه : التقي ، والجواد .

والده : الإمام علي بن موسى الرضا (ع) .
والدته : الخيزرانة .

ولادته : في المدينة المنورة ، ليلة الجمعة ، في العاشر من شهر رجب المرجَّب ، على القول المشهور سنة مئة وخمسة وتسعين للهجرة .

وفاته : سمَّته أم الفضل بنت المأمون ، بأمر من المعتصم العباسي ، وارتحل إلى جوار ربّه في اليوم الآخر من شهر ذي القعدة سنة مئتين وعشرين للهجرة .

مدفنه الشريف : دُفن (ع)، عند جده موسى بن جعفر

(ع) بـ (الكاظمية) ، وكان له زوجة وجارية ، وابنان ، وابنتان .

وهو ، سلام الله عليه ، أصغر الأئمة عمراً ، ومع صغر سنّه ، حيَّر عقول العلماء ، بعلمه ، ومعارفه ، ومعاجزه ، وكراماته ، وقصته مع يحيى بن الأكثم ، قاضي زمانه ، في مجلس المأمون ، معروفة مشهورة ، كيف أفحمه في جوابه لسؤاله ، وسؤاله (ع) ، منه[1] .

---

(١) قال يحيى بن أكثم للمأمون : «أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر (ع) ؟ فقال المأمون : إستأذنه في ذلك . فأقبل عليه يحيى بن أكثم ، فقال : أتأذن لي ، جعلت فداك ، في مسألة ؟ قال له أبو جعفر (ع) : سل إن شئت . قال يحيى : ما تقول ، جعلني الله فداك ، في محرم قتل صيداً ؟ فقال له أبو جعفر (ع) : في حلّ قتله أو في حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حراً كان المحرم أم عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً ؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ؟ من صغار الصيد كان أم من كباره ؟ مصراً على ما فعل أو نادماً ؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً ؟ =

. . . . . .

= فتحيَّر يحيى بن أكثم ، وبان في وجهه العجز والإنقطاع ، وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره . . . فسأله المأمون عن بيانه ، فأجاب (ع) بما هو مسطور في كتب الفقه» (نور الأبصار : ص ٢٦٣) .

١٢ ـ الإمام علي بن محمد (ع)

إسمه الشريف : علي .

كنيته : أبو الحسن الثالث .

أشهر ألقابه : النقي والهادي .

والده : الإمام محمد بن علي الجواد (ع) .

والدته : سمانة المغربية المعروفة بالسيدة .

ولادته : في يوم الثلاثاء ، الثاني من شهر رجب الأصم ، سنة مئتين وأربعة عشر ، أو النصف من ذي الحجة ، سنة مئتين واثنتي عشرة من الهجرة .

وفاته : يوم الإثنين ، الثالث من شهر رجب المرجب ، سنة مئتين وأربعة وخمسين ، وقد سمَّه المعتز العباسي .

مدفنه الشريف : دُفن (ع)، في (سامراء) . وكان له

من البنين أربعة ، ومن البنات واحدة ، ومن الأزواج أم ولد .

وقد روت منه رواة الشيعة ، عجائب الأخبار[1] ،

---

(١) حمل الإمام (ع) ، إلى المتوكل ، في جوف الليل ، فمثل بين يديه ، والمتوكل يشرب ، وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ، وقال من أتى به : يا أمير المؤمنين ! لم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل عليه بها .

فناوله المتوكل الكأس التي في يده ، فقال (ع) : يا أمير المؤمنين ! ما خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني منه ، فعافاه ، وقال : أنشدني شعراً أستحسنه . فقال : إني لقليل الرواية للأشعار . فقال : لا بد أن تنشدني . فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غُلْبُ الرجال فما أغناهم القُللُ

واستُنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم ... وأُودعوا حُفَراً يا بئس ما نَزَلوا

ناداهُمُ صارخ من بعد دفنهم ... أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحُللُ

أين الوجوه التي كانت منعَّمةً ... من دونها تُضرَبُ الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا قدماً وقد شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادَّخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا =

وحملت غرائب الآثار ، ومن جملتها (الجامعة الكبيرة) في زيارة الأئمة المعصومين ، سلام الله عليهم أجمعين ، جمع فيها فضائلهم ومناقبهم ، وأشار إلى درجاتهم الرفيعة ، ومقاماتهم المنيعة .

وحقيق على الموالي أن لا يتركها عند زيارته إياهم ، ويقر بمضامينها العالية ، السامية ، جنانه ، كما يعترف بها لسانه ، فهي كنز من كنوزهم التي حوت جواهر المعاني ، وحقائق العقائد .

= وأشفق من حضر على أبي الحسن الهادي (ع) ، وبكى المتوكل بكاء شديداً ، حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، ثم أمر برفع الشراب (نور الأبصار : ص ٢٧٩ - مروج الذهب : ١٢/٥) .

١٣- الإمام الحسن بن علي (ع)

إسمه الشريف : الحسن .

كنيته : أبو محمد .

أشهر ألقابه : العسكري .

والده : الإمام علي بن محمد الهادي (ع) .

والدته : ريحانة ، وكانت من المؤمنات الصالحات ، جليلة القدر ، معظمة في عصرها .

ولادته : يوم الجمعة ، في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة (٢٣٢ هـ) .

وفاته : يوم الجمعة ، الثامن من شهر ربيع الأول ، سنة (٢٦٠ هـ) . وسمَّهُ المعتمد العباسي .

مدفنه الشريف : دُفن (ع) ،عند أبيه الإمام بـ (سر من رأى) ، وكان له من الأزواج واحدة أم ولد وهي السيدة

(نرجس) ، ومن الأولاد ابن واحد ، وهو إمام العصر (عج)[1] .

---

(١) قال أبو الأديان في وفاة الإمام العسكري (ع) : «كنت أخدم الحسن بن علي العسكري ، وأحمل كتبه إلى الأمصار ، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها ، صلوات الله عليه ، فكتب معي كتباً ، وقال : تمضي بها إلى المدائن ، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً ، فتدخل إلى (سر من رأى) يوم الخامس عشر ، وتسمع الواعية في داري ، وتجدني على المغتسل .

قال أبو الأديان ، فقلت : يا سيدي ! فإذا كان ذلك فمن الإمام والحجة ؟ قال : من طالبك بجوابات كتبي ، فهو القائم بعدي . فقلت : زدني . فقال : من يصلي عليّ ، فهو القائم بعدي . فقلت : زدني . فقال : من أخبر بما في الهميان ، فهو القائم بعدي . ثم منعتني هيبته أن أسأله ما في الهميان .

وخرجت بالكتب إلى المدائن ، وأخذت جواباتها ، ودخلت (سر من رأى) يوم الخامس عشر ، كما قال لي (ع) ، فإذا أنا بالواعية في داره ، وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه ، بباب الدار ، والشيعة حوله يعزونه ويهنونه .

فقلت في نفسي : إن يكن هذا الإمام ، فقد ماتت الإمامة ، لأني كنت أعرفه بشرب النبيذ ، ويقامر في الجوسق ، ويلعب بالطنبور ، فتقدمت فعزَّيتُ وهنَّيتُ ، فلم =

. . . . . .

= يسألني عن شيء ، ثم خرج عقيد ، فقال : يا سيدي ! قد كفن أخوك ، فقم للصلاة عليه .

فدخل جعفر بن علي ، والشيعة من حوله ، فلما صرنا بالدار إذا أنا بالحسن بن علي (ع) ، على نعشه مكفناً ، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه ، فلما همَّ بالتكبير ، خرج صبي بوجهه سمرة ، بشعره قطط ، وبأسنانه تفيلج ، فجذب رداء جعفر ، وقال : تأخر يا عم أنا أحق بالصلاة على أبي !

فتأخر جعفر ، وقد اربدَّ وجهه ، فتقدم الصبي ، فصلى عليه ، ودفن إلى جانب قبر أبيه ، ثم قال : يا بصري هات جوابات الكتب التي معك . فدفعتها إليه ، وقلت في نفسي : هذه اثنتان ، وبقي الهميان .

ثم خرجت إلى جعفر ، وهو يزفر ، فقال له حاجز الوشا : يا سيدي ! من الصبي ؟ ليقيم عليه الحجة ، فقال : والله ما رأيته قط ، ولا عرفته .

فنحن جلوس إذ قدم نفر من (قم) ، فسألوا عن الحسن بن علي ، فعرفوا موته ، فقالوا : فمن الإمام والحجة بعده ؟ فأشاروا إلى جعفر بن علي ، فسلموا عليه ، وعزّوه وهنوه ، وقالوا : إنَّ معنا كتباً ومالاً ، فتقول ممن الكتب ؟ وكم المال ؟ =

. . . . . .

= فقام ينفض أثوابه ويقول : يريدون منا أن نعلم الغيب ! قال : فخرج الخادم وقال : معكم كتب فلان ، وفلان ، وهميان فيه ألف دينار ، عشرة دنانير منها مطلية .

فدفعوا الكتب والمال ، وقالوا : الذي وجَّه بك لأجل ذلك هو الإمام .

فدخل جعفر بن علي على المعتمد ، وكشف له ذلك . فوجه المعتمد خدمه ، فقبضوا على صيقل الجارية ، وطالبوها بالصبي ، فأنكرته وادَّعت حملاً بها لتغطي على حال الصبي ، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي ، وبغتهم موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان فجأة ، وخروج صاحب الزنج بـ (البصرة) ، فشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت عن أيديهم والحمد لله رب العالمين ، لا شريك له» (نور الأبصار : ص ٣٤١) .

● وقالوا في بعض معجزاته (ع) : «إنه ورد على المتوكل رجل من الهند ، مشعبذ ، فأحضره المتوكل ، فلعب بين يديه بأشياء ظريفة ، فكثر تعجبه منها ، فقال للهندي : يحضر الساعة عندنا رجل ، فالعب بين يديه بكل ما تحسن ، وتعرَّض به ، واقصد لخجله . فحضر سيدنا أبو الحسن (ع) ، ولعب الهندي ، وهو ينظر إليه ، والمتوكل يعجب من لعبه ، حتى تعرض الهندي لسيدنا ، فقال : ما لك أيها الشريف لا تهش =

= للعبي ، أحسبك جائعاً ، وضرب الهندي يده إلى صورة في البساط وقد ارتقى ، فأراهم أنها رغيف ، وقال : إمض يا رغيف إلى هذا الجائع حتى يأكلك ، ويفرح بلعبي ! فوضع سيدنا أبو الحسن (ع) ، إصبعه على صورة سبع في البساط ، وقال له : خذه ! فوثب من تلك الصورة سبع عظيم ، فابتلع الهندي ، ورجع إلى صورته في البساط . فسقط المتوكل لوجهه ، وهرب من كان قائماً ، فقال المتوكل ، وقد ثاب إليه عقله : يا أبا الحسن أين الرجل ، ردَّه ؟ ، فقال له أبو الحسن (ع) : إن ردت عصا موسى ما تلقفت ، رُدَّ هذا الرجل ، ونهض» . (حلية الأبرار : ٢/٤٧٥) .

١٤ـ الإمام المهدي المنتظر (ع)

إسمه الشريف : اسم جده رسول الله (ص) .

كنيته : أبو القاسم .

لقبه : المهدي ، والقائم .

والده : الإمام الحسن العسكري (ع) .

والدته : مليكة ، ويقال لها نرجس بنت يشوعا ابن القيصر ، ملك الروم ، وجدّها من جهة الأم : شمعون وصي المسيح ، عيسى بن مريم ، على نبينا وآله ، وعليه الصلاة والسلام ، وكانت وحيدة زمانها في الكمال والمزايا .

ولادته : في النصف من شعبان المعظم ، يوم الجمعة سنة مئتين وخمسة وخمسين من الهجرة .

عاش مع والده خمس سنين ، وعدة أشهر ، وكان محجوباً عن الناس ، إلا عن الخواص .

غاب غيبته الصغرى ، والكبرى ، وهو الآن حي

باق، بقدرة الله[1]، حتى يظهر بإذنه، عزوجل، ويملأ

(١) إن إمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة ، تعني أحد ثلاثة معانٍ : الإمكان العملي ، والإمكان العلمي ، والإمكان المنطقي أو الفلسفي . والإمكان العملي بمعنى كون الشيء ممكناً ويتاح تحقيقه عملياً وفعلاً . والإمكان العلمي بمعنى أن نمارس أشياء فعلاً لا يوجد لدى العلم ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ، ووقوعها ، وفقاً لظروف ووسائل خاصة . وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي (عج) وما أُحيط به من استفهام ، أو استغراب . ونلاحظ أنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً ، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري ، إلى إمكان عملي تدريجاً ، لا يبقى للإستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي (عج) العلم نفسه ، فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه ، قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل . ولا ندري ، هل هي صدفة ، أن يقوم كل من نوح (ع) ، والمهدي ، بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد ، وبنائها من جديد ، فيكون لكل منهما عمر مديد ، يزيد على أعمارنا الإعتيادية أضعافاً مضاعفة ؟ أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية ، وهو نوح (ع) ، الذي مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة يدعوهم إلى الله تعالى ، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من

الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

الغيبة الصغرى[1]

كان له ـ أرواحنا فداه ـ بعد والده الهمام ، في زمان غيبته نواب وسائط ، بينه وبين شيعته ، يستلمون الحقوق الشرعية منهم ، ويقدمون مسائلهم وحوائجهم إلى الإمام

= جديد ، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية ، وهو المهدي (عج) الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام ، وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد ! لذلك فلماذا نقبل نوح الذي تجاوز الألف عام على أقل تقدير ، ولا نقبل المهدي ؟ ونحيل المتتبع الخبير إلى كتاب (الوصايا والمعمرين لأبي حاتم السجستاني : ت ٢٥٠ هـ ـ ط. عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦١ م) ، ليرى أن متوسط عمر الإنسان القديم كان خمسمئة سنة تقريباً ، تزيد أو تنقص لا فرق .

(١) إذا افترضنا أن الغيبة الصغرى بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي (عج) فنحددها من سنة (٢٥٥ هـ) ـ حتى سنة (٣٢٩ هـ) تاريخ وفاة آخر السفراء ، أو الوكلاء ، وهو أبو الحسن علي بن محمد السمري ، أي ما يقارب أربعة وسبعين عاماً .

الحجة ، ويوصلون الجواب إليهم ، وهم السفراء الأربعة :

أول السفراء: عثمان بن سعيد الأسدي

كان عثمان بن سعيد الأسدي ، قبل الإمام الغائب ، نائباً خاصاً ، عن طرف جده وأبيه ، عليهما السلام ، وكان أمينهما ومحل وثوقهما ، طبقاً للروايات الواردة عنهما في حقه .

فالتوقيع كان يخرج بواسطته ، وعلى يده . وفي سنة (٢٨٠ هـ) ، لبَّى نداء ربه ، ودُفن بـ (بغداد) ، رضوان الله تعالى عليه .

ثاني السفراء: أبو جعفر محمد بن عثمان

خرج التوقيع من الناحية المقدسة ، إلى عثمان بن سعيد ، نصَّاً فى نيابة ولده ، فأصبح أبو جعفر ، بعد وفاة أبيه ، سفيراً للحجة ، ومرجعاً للشيعة .

وكان محمد بن عثمان عظيم الشأن ، مظهراً للكرامات وخوارق العادات ، وله مؤلفات في الفقه قد أدرج فيها ما سمعه من الإمام العسكري ، والإمام الغائب ، ومن أبيه ، وخص بفضائل لا يسعها هذا المختصر .

وارتحل إلى جوار ربه في سنة (٣٠٥ هـ) بعد الهجرة ، ودفن بـ (بغداد) قريباً من تربة والده ، رضوان الله تعالى عليهما .

ثالث السفراء: أبو القاسم حسين بن روح النوبختي

خرج التوقيع إلى أبي جعفر محمد بن عثمان أنْ يعيّن حسين بن روح من بعده ، نائباً خاصاً عن الحجة ، وكان وجيهاً عند الخاصة والعامة ، ومتمسكاً بالتقية ، فقام بوظائف النيابة حتى توفي في سنة (٣٢٦ هـ) ، ودفن بـ (بغداد) .

آخر السفراء: أبو الحسن علي بن محمد السّمري

افتخر بالنيابة الخاصة ، بنص من الإمام الغائب الحجة ، وخرجت التوقيعات على يده ، وقام بالواجب كما ينبغي ، وارتحل إلى جوار ربّه في سنة (٣٢٩ هـ) ، ودفن بـ (بغداد) ، وفي سنة وفاته ، مات كثير من العلماء ، والمحدثين ، وحملة الأخبار ، وسميت تلك السنة بعام (تناثر النجوم) ، وقد تناثر فيها من النجوم ما لا يحصى .

وينبغي لكل إثني عشري ، وبالأخص الزائرين ، أنْ يتشرفوا بزيارة هؤلاء السفراء الأربعة بـ (بغداد) ، ولا يعرضوا عن هذا الثواب العظيم ، وفقنا الله جميعاً لما يحب ويرضى ، آمين .

رؤيته في الغيبة الكبرى[1]

وقعت الغيبة الكبرى بعد وفاة أبي الحسن علي بن محمد السُّمري ، ومدة هذه الغيبة إلى وقت ظهوره ،

---

(١) إننا في الواقع المنصف ، لا نستطيع إعطاء رقم دقيق عن عدد الذين رأوا الإمام المهدي (عج) ، خلال الغيبة الكبرى ، ولكن عدداً من الأعلام ذكروا تراجم وقصص كثيرين من الذين تشرفوا برؤية الحجة ، عجل الله تعالى فرجه الشريف ، كما يصعب استيعاب أسماء من سجلتهم كتب التاريخ القديم ، والحديث ، في هذا المجال ، ونذكر أسماء بعض كتب ألفها علماؤنا ، حول الذين تشرفوا بلقاء الإمام المهدي (عج) ، مثل كتاب : (تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي للسيد هاشم البحراني) ، و (تذكرة الطالب فيمن رأى الإمام الغائب) ، و (دار السلام فيمن فاز بسلام الإمام ، للشيخ محمود الميثمي العراقي) ، و (بدائع الكلام فيمن اجتمع بالإمام ، للسيد جمال الدين محمد بن الحسين اليزدي الطباطبائي) ، و (البهجة فيمن فاز بلقاء الحجة ، للميرزا محمد تقي الألماسي الأصفهاني) ، و (العبقري الحسان في تواريخ صاحب الزمان ، للشيخ علي أكبر النهاوندي) ، و (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام ، أو معجزته في الغيبة الكبرى ، للميرزا حسين النوري) .

صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهـرين ، ولا يعلم زمان ظهوره إلا الله ، تبارك وتعالى . والشيعة أمـروا في أمورهم الشرعية ، أن يرجعوا إلى الفقهاء ، ورواة الأحاديث ، كما خرج التوقيع بذلك :

«أمـا الحـوادث الـواقعـة ، فـارجعـوا فيهـا إلى رواة أحاديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله»[1] .

فأصبح كل فقيه ، قد تمت فيه شروط التقليد ، مرجعاً للشيعة الإثني عشرية .

---

(١) الإحتجاج : ٢/ ٤٧٠ .

٥ - المعاد الجسماني

ويجب الإعتقاد بأن الله ، عز وجل ، جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، وهو يوم القيامة ، لتجزى كل نفس بما عملت في دار الدنيا ، من الخير والشر ، كما قال ، عزَّ وجلّ : **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**(١) .

فلما لم يكن يرى المحسن والمسيء في حياتهما الدنيوية ، جزاء ما عملا وارتكبا من الحسنات والسيئات ، فلا بد إذاً من المعاد ، والوقوف بين يدي رب العباد ، والمحاسبة على رؤوس الأشهاد ، فيومئذ ينصب الميزان ، ويظهر عدل الرحمن ، فيعامل السعيد بفضله ، والشقي بعدله : **﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السَّمٰوات والأرض إلا ما**

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، و ٨ .

شاء ربك إنَّ ربك فعَّال لما يُريد * وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السَّمٰوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾[1] .

وذلك حينما ينفخ إسرافيل في الصور ، النفخة الثانية ، فتنمو الأجساد في القبور ، كما تنمو الكمأة ، وتدخل كل روح إلى جسدها الذي كان معها في دار الدنيا ، فإذا هم قيام ينشرون .

ملاحظة : الواجب في المعاد هو الإعتقاد بعود الأرواح إلى الأجساد فحسب ، كما هو صريح الآيات والأحاديث ، ولا يجب الإعتراف بما حققه الحكماء من تصفية الأبدان ، وعدم عود العوارض الدنيوية ، وقد سماها بعضهم بالأجزاء الغريبة ، وبعضهم بالأجزاء الفضلية ، وبعضهم بالجسد العنصري .

وإن كان هذا التحقيق لا بأس به ، وموافق للذوق ، والعقل ، وإشارات النقل ، ولكن ليس من العقيدة .

وأما الذين قالوا : إنَّ الأجساد تحشر من دون تصفية ، بل تعود مع كثافتها ، حتى ما خسرته في الدنيا ، وألقته من

---

(١) سورة هود ، الآيات : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

الشعور ، والأظافر ، وسائر الفضلات ، طول عمرها ، فليس بشيء ، بل هو تحكم وضعف ، في التدبّر والتعقل .

ويجب أيضاً الإعتقاد بشهادة الأعضاء والجوارح في يوم القيامة ، كما صرَّح به القرآن المجيد[1] ، والإعتقاد بتطاير الكتب[2] ، والميزان[3] ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ، والجنة ، والنار ، كما هو صريح الآيات الشريفة ، والأحاديث المتواترة ، والتفصيل موكول إلى كتب الأخبار والأحاديث .

وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

---

(١) ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (النور : ٢٤) . ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (يٰس : ٦٥) .

(٢) ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ (الإسراء : ١٣) .

(٣) ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ (الأنبياء : ٤٧) .

فهرس أهم المواضيع

أصول الدين ٧

● **١ ـ التوحيد** ٩

ـ توحيد الذات ١٣

ـ دليل الفرجة ١٥

ـ دليل التمانع ١٧

ـ توحيد الصفات ١٨

١ ـ العلم ١٩

٢ ـ القدرة ٢٠

٣ ـ الحياة ٢٠

٤ ـ السمع ٢٠

٥ ـ البصر ٢٠

٦ ـ القدم ٢١

- توحيد الأفعال ٢٥
- توحيد العبادة ٢٧
- الصفات السلبية ٢٨
- لا يُعرف الله تعالى من طريق ذاته ٣٠
- معرفة العالم الأكبر ٣٤
- معرفة الله تعالىٰ على قدر معرفة آياته وصفاته ٣٧
● **٢ـ العدل** ٤١
- تنزيه الله تعالىٰ ٤٢
● **٣ـ النبوة** ٤٥
- موجبان في إرسال الأنبياء (ع) ٤٧
- النبي والرسول ٤٩
- ستة من المرسلين أرباب الشرائع ٥٠
- أولو العزم ٥١
- النبوة الخاصة والعامة ٥٤
- خطبة أمير المؤمنين (ع) في (يوم الغدير) ٥٩
- إثبات النبوة ٦٧
- المعجزة ٧٥
● **٤ـ الامامة** ٧٧
- في إثبات الإمامة ٧٨
- هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد ٧٩
- ترجمة حياة المعصومين الأربعة عشر (ع) ٩١

١ ـ الرسول الأكرم (ص) ٩١
٢ ـ الإمام علي بن أبي طالب (ع) ٩٧
ـ وليد الكعبة ٩٧
ـ غزواته ١٠٣
١ ـ غزوة الخندق ١٠٤
٢ ـ غزوة خيبر ١١١
٣ ـ فاطمة الزهراء (ع) ١٢١
٤ ـ الإمام الحسن المجتبي (ع) ١٢٥
٥ ـ الإمام أبو عبد الله الحسين (ع) الشهيد ١٢٩
٦ ـ الإمام علي بن الحسين (ع) السجاد ١٣٧
٧ ـ الإمام محمد بن علي (ع) الباقر ١٤٧
٨ ـ الإمام جعفر بن محمد (ع) الصادق ١٤٧
٩ ـ الإمام موسى بن جعفر (ع) الكاظم ١٥٣
١٠ ـ الإمام علي بن موسى (ع) الرضا ١٦١
١١ ـ الإمام محمد بن علي (ع) الجواد ١٧١
١٢ ـ الإمام علي بن محمد (ع) الهادي ١٧٥
١٣ ـ الإمام الحسن بن علي (ع) العسكري ١٧٩
١٤ ـ الإمام المهدي المنتظر (عج) ١٨٥
ـ الغيبة الصغرىٰ ١٨٧
ـ أول السفراء : عثمان بن سعيد الأسدي . ١٨٨

ـ ثاني السفراء : محمد بن عثمان ١٨٨
ـ ثالث السفراء : الحسين بن روح النوبختي ... ١٨٩
ـ آخر السفراء : علي بن محمد السَّمري ١٨٩
ـ رؤيته في الغيبة الكبرى ١٩٠
● **٥ ـ المعاد الجسماني** ١٩٣
الفهرست ١٩٧